

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية: الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

النّزعة التأمليّة في أدب جبران خليل جبران
كتاب النّبي- أنموذجاً-

مذكرة معدة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي. تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالب: — إشراف الدكتور:

* بوبكر عياشي عمر — *لحسن عزوز

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرّتبة	الجامعة	الصّفة
د.سعد مردف	استاذ محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	رئيساً
د. لحسن عزوز	استاذ محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	مشرفاً ومقرّراً
د. علي دغمان	استاذ محاضر	جامعة الشّهيد حمّه لخضر ـ الوادي	عضواً ومناقشاً

السنة الجامعية: 1436 ـ 1437هـ / 2015 ـ 2016م


بسم الله الرحمان الرحيم

قال تعالى:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾

سورة المجادلة الآية 11

مقدمة

لطالما كان الأدب العربيّ ولا يزال من أهمّ الآداب العالمية رفعةً وسمواً، ولقد استمدّ قيمته ومكانته من صدقه وإخلاص أدباءه له، هذا ما تؤكّده الدّراسات التي أجريت حوله وحول كتّابه، واختصت بعض هذه الدّراسات في دراسة الأدب المهجري، وامتاز هذا الأخير عن بقيّة الآداب بأنّه نابع من تجارب ذاتيّةٍ وجدانيّةٍ واقعيّةٍ، عاشها الشّاعر المهجريّ بكلّ أحاسيسه ومشاعره، خاصة إن اتّسم هؤلاء الشّعراء بالرّومانسية المفرطة أحياناً، وعلى إختلاف شعراء هذا الأدب إختلفت أيضا نزعاتهم، فأصبح لكلّ شاعر نزعةً تميّزه عن غيره، ومن أبرز هؤلاء الشّعراء زعيم أدب المهجر"**جبران خليل جبران**"، حيث كان له الدّور الأكبر في تأسيس هذا الأدب بمؤلّفاته النّثرية والشّعرية.

ولأنّ إنتاجه الأدبي تعرّض إلى الدّراسة منذ أمدٍ بعيد، فأصبح الاهتمام به من قبل الباحثين والدارسين في وقتنا الرّاهن قليل، بحجة أنّ أدبه هُضم من جميع الجوانب، لذا أصبحت أيّ دراسة متعلّقة به غير مُغرية، إلاّ أنّنا رأينا غير ذلك، وإعتبرنا نصوصه من النصوص المفتوحة، والقابلة لقراءات متعدّدة ومتجدّدة.

وهذا كله يعدّ من بين أهمّ الأسباب والدّوافع التي أدّت بنا إلى إختيار الموضوع المعنون ب "**النّزعة التّأمليّة في أدب جبران خليل جبران**"، واخترنا كتاب "**النّبـــي**" أنموذجاً.

ومن هنا ولدت فكرة بحثنا الهادفة إلى الكشف عن ماهية النّزعة التأمليّة في أدب جبران؟، وما الذي تشكله النزعة التأملية في أدبه ؟، وما هي الصّوفية عند جبران ؟،وأين تتجلّى هذه النّزعة في كتاب "النّبي" ؟.

وللإجابة عن كل هذه التساؤلات وضعنا خطة مقسّمة إلى ثلاثة فصول تتصدرها مقدمة، وهي كالأتي:

✓ **الفصل التمهيدي**: وتطرقنا فيه إلى:

1-جبران الظاهرة الأدبية: حيث تناولنا فيه أسلوبه وفلسفته الأدبية.

2-الفكر الإنساني التأمّلي عند شعراء المهجر: وأخذنا فيه مفهوم النّزعة التأمليّة لغة واصطلاحا، ومفهوم النّزعة الإنسانيّة .

3-شعراء المهجر التأسيس والتكوين: وفيه نظرة تاريخية حول شعراء المهجر وأسباب الهجرة وكيف أثّرت الهجرة في حياتهم الأدبية.

4-روّاد ومؤسسو الرّابطة القلمية: حيث تناولنا فيه نظرة تاريخية حول نشأة الرابطة القلمية وما حملته من تجديد في الأدب العربي.

✓ **الفصل الأول**: يحمل عنوان"المواجع والفواجع في نص كتاب "النّبي": وتناولنا فيه ما يلي:

1-كتاب النّبي رحلة نصيّة بمواقفه الروحيّة: وفيه ملخص حول عن هذا الكتاب.

2-صوفية النص ورحلة الوجود: وفيه مفهوم الصوفيّة عند جبران.

3-هكذا تكلم النّبي و زرادشت متعاليات نصية بروح التأمّل: وتناولنا فيه نقاط التشابه و الاختلاف بين كتاب "النّبي" لجبران، وكتاب "زرادشت" لفريدريك نيتشه.

✓ **الفصل الثاني**: تحت عنوان"مظاهر وتجليات التأمّل في كتاب النّبي" وفيه ما يلي:

1-التأمّل الرومانسي: وفيه تطرقنا إلى نظرة الشاعر في الطبيعة والإنسان من خلال كتاب النّبي.

2- التأمّل الوجودي: وفيه تصور جبران للوجود وموقفه من الوجود.

3-التأمّل الوجداني: وفيه نبرز نظرة جبران للدّين.

4-جبران في عيون النقاد: فقد حاولنا فيه جمع ما أمكن من آراء النقاد العرب، والغرب فيه وما قيل في أدبه.

✓ **خاتمة**: وفيها عرضنا أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

ووفق هذه الخطة اتبعنا المنهج الأسلوبي المدعم بالمنهج التحليلي وذلك من اجل دراسة كتاب "النّبي" والغوص في أفكاره.

ولقد إعتمدنا في دراستنا هذه على العديد من المصادر والمراجع، ولقد وجدنا صعوبة كبيرة في الحصول عليها خاصة المراجع التي تناولت كتاب "النّبي" حيث أخذ مني البحث عنها طويلا، حتى وإن لم يكن بالقدر الكافي لتقديم كتاب "النّبي" حيث لم تعد الدراسات قائمة حوله خاصة في الجزائر، ومن المرجع التي أفادتنا:

- الجامع في تاريخ الأدب العربي ل"حنا الفاخوري".

- أدباء من المشرق والمغرب ل"عيسى الناعوري".

- كتاب النّبي ترجمة ثروت عكاشه ل"جبران".

- أدب المهجر ل"عيسى الناعوري".

- قصة الأدب المهجري ل"محمد عبد المنعم خفاجي".

وخلال إنجازنا لهذا العمل واجهتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل أهمها : ندرة المراجع خاصة في الجانب التطبيقي، وصعوبة استخلاص المادة العلمية كون هذا الموضوع واسع ومعقد بعض الشيء.

وعلى الرغم من ذلك فهذه الصعوبات كانت بمثابة محفز لقوة إرادتي وتحمّلي وصبري في إثراء هذا الموضوع ومحاولة الإحاطة بأهمّ قضاياه.

وفي الأخير لا يسعني إلا شكر الله وحمده؛ الذي وفقني لهذا، ولا أنسى الشكر للأستاذ المشرف"**لحسن عزّوز**" على مساعدته وصبره، وأشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل من زملاء وأساتذة وخاصة" عثمان قصبه" والأستاذ "ياسين صلاح"، وأرجو أن يكون هذا العمل في المستوى المطلوب، وبداية لأعمال قادمة جديدة، وأن يحمل دعوة للتأمّل في كون الله عزّ وجل وخلقه لتعزيز الإيمان في نفوسنا، والتسلح به–الإيمان– في كل وقت وزمان، والحمد لله.

الفصل التمهيدي :

تأصيل المفهوم والاصطلاح

1- جبران خليل جبران الظاهرة الأدبية

2- الفكر الإنساني التأملي عند شعراء المهجر

3- شعراء المهجر التأسيس والتكوين

4- رواد ومؤسسو الرابطة القلمية

1-جبران خليل جبران الظاهرة الأدبية:

هناك كثير من الأدباء يكتبون لمنطقة معينة، في زمن معين فلا يتعداهم ما ينتجون، لكن الأديب الحقيقي، هو من يتوجه بأدبه إلى كل إنسان في كل زمان و مكان، فيستمر نتاجه الأدبي حيا، ونظرا يثير الاهتمام والإعجاب.

ويعد" جبران خليل جبران "من بين هؤلاء، وما يفسر هذا هو إقبال العديد من القراء على مختلف أعماله مثل : "ميخائيل تأصيل المفهوم والاصطلاح ساءل عن" جبران "الظاهرة الأدبية؟

كما يرى حنا الفاخوري «هو العبقري جبران خليل جبران رجل الطبيعة الغنية، إنه مزيج من فكر عميق، والتماع إيحائي ، وإشراق نوراني ، وعاطفة متأججة، وهو سلطة مسيطرة، وعقل فنّي، وسحر أخّاذ، ومثالية مطلقة، وإنسانية واسعة، وعاطفة متأججة لأخفى المعاني، وأخفى المحسوسات.

هو رجل الانفرادية الاجتماعية التي تريد أن تنمي الفرد بغذاء المجتمع الإنسان، وتريد أن تنمي المجتمع بغذاء الانفرادية»[1].

«كان الرسم أول مظاهر موهبته ثم عبرت الموهبة عن ذاتها كتابة باللغة العربية، تلك الكتابة التي تبدو مشوشة كالساعات الأولى من الفجر على عافية اللغة، وصفاء الصور»[2].

---

[1]- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب الحديث)، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986 م، ص218

[2]- جبران خليل جبران، الاجنحة المتكسرة، منشورات دار المعرفة، الجزائر، ب ط، 2003 م، ص03

1.1- أسلوب جبران الأدبي:

يعد أسلوب" جبران "الأدبي متميزا منفردا، فعلى الرغم من كونه رساما في تفكيره وعقله، غير أن كتاباته، أعطته شهرة واسعة، بلغت العالمية إلى جانب قصصه الواضحة البسيطة، والقصائد النثرية، التي كان لها تأثيرا عميقا في الأدب العربي الحديث.

وانقسمت كتابات" جبران "إلى قسمين واحد يأخذ بالقوة، ويثور على العقائد، والدين، والتقاليد، والآخر يتتبع الميول، والأهواء وحب الاستمتاع بالحياة، وكان ميله إلى الهدم ميله إلى البناء، فهو صديق الناس وعدوهم في وقت واحد.

وكان أسلوبه في التعبير متعددا، فقد «اعتمد عدة أساليب للتعبير عن فكره، منها أسلوب القصص القصير، وأسلوب المثل، وأسلوب التأمل، وكان في كل ما كتب متأثرا، بالتوراة، والإنجيل فكرا وأسلوبا، وكانت له فلسفة خاصة استقاها عن مصادر متعددة، ومن أعماق نفسه، وأهم مقوماتها مبادئ التقمص، ووحدة الوجود، والقوة البناءة للمحبة، وكان" جبران "يعتبر أنه صاحب رسالة، عبر عنها في شتى مؤلفاته ولاسيما الإنجليزية منها» [1]

وبالتالي امتاز أدب" جبران "بالرمزية، وهذه الرمزية شملت أغلب مؤلفاته، فما عدا بعض كتبه مثل (آلهة الأرض)،(حديقة النبي...)، حيث يبدو فيها الغموض، الذي يسلكه في المدرسة الرمزية الغربية « فقد تأثر" جبران "في أسلوبه الرمزي بمغلاة الأسلوبين الغربيين مثل" :شلي"،" بليك" ... إلخ ،

[1] –حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص227

كما تأثر بنتشه، خصوصا في كتابه" هكذا يقول زرادشت "إلى جانب تأثره بالأدب الديني ك (سفر الجامعة)، و(أيوب)، و(نشيد الإنشاد) »[1]

ما يميز كتب" جبران "أنه يمكن اختصارها، في لوحة واحدة مليئة بالمعاني، والعبارات العميقة التي صاغها" جبران "بين سطوره، أو بالأحرى خلف رسوماته الوهمية، في قصيدته النثرية "مدنية الأموات "من كتابه (دمعة وابتسامة).

«و المتمعن في كتابات" جبران يصعب عليه ملاحظة أن" جبران" يخرج شكواه متفائلا إيجابيا والمتابع لأعمال أدباء وشعراء المهجر يلاحظ أنهم، امتازوا بعذوبة النغم، وسلامة العبارة، ورشاقة الألفاظ وسهولتها، وبساطة التعبير، وصدق العواطف، وجمال التصوير»[2].

« أما في كتابه(الموسيقى)فقد طواه على تأملات في الموسيقى، وطاقاتها التعبيرية، والتأثيرية، وقد» ألقى فيه نظرة سريعة على منزلة الموسيقى عند الأمم، وفي هذا الكتاب نلمس الأسلوب الجبران في فجر تفتحه»[3]

أما" عرائس المروج" « فقد كان عبارة عن ثلاث أقاصيص مستمدة من الحياة اللبنانية، تعكس بعضا من مشكلاتها، وتعبر عن رأي" جبران "حيالها وعن ثورته على ظلم المجتمع، وفساده و قد نجح

---

[1] –حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، دار قطري ابن الفجاءة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1985 ، ص109

[2] –جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، ص07

[3] – إسكندر نجار، قاموس جبران خليل جبران، دار الصافي، بيروت، لبنان، ط2، 2008م، ص204.

"جبران "في كتابه هذا في مزج الشاعرية بالأسطورة بحس إنساني عميق» [1]

أما عن " الأرواح المتمردة" «فقد ضم أربع أقاصيص اجتماعية لأرواح تمردت عن التقاليد والشرائع، ومثل هذا الكتاب الثورة، على الإقطاع، والتقاليد البالية، و انتصر" جبران "فيه للمرأة، وثار على الشريعة العمياء وعلى الطغيان، وعلى مقابلة الشر بالشر وهو إذ حرص على الكتاب المقدس، وعلى الحقيقة الإلهية رفض أن يسيء الرهبان المتخمون إلى جوهره الروحي »[2]

وكانت" الأجنحة المنكسرة " «رواية روما نطقية عالجت موضوع حبه الأول، وهي أشهر قصص "جبران "وأقربها إلى نفسه، وأكملها تجربة، ولا تخرج هذه الرواية عن مناخ الثورة على تدخل رجال الدين في حياة الناس، وتقسيمهم إلى طبقات وتميز بعضهم من بعض، والتغني بالحب والحرية والحياة»[3].

وكانت" دمعة وابتسامة" «عبارة عن قصص تحتوي تأملات وقصائد نثرية يحوي ستا وخمسين مقطوعة نشرها" جبران "في جريدة(المهاجر)، وكانت أقرب إلى الأدب الوجداني القائم على العاطفة »[4].

وأما " المواكب" « فكانت ترمي إلى غرض فلسفي، وتمثل النواحي الحياة كما يراها الإنسان من خلال الذات المزدوجة، ذات التمدن، وذات الفطرة، وتدور حول موضوعات الحياة الكبرى كالخير،

---

[1]- المرجع السابق، ص151 .
[2] –جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران بالعربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ب ط، 2002 م، ص41
[3] –المرجع نفسه، ص42 .
[4] –المرجع نفسه، ص42

والشر، والعدالة، والحرية، والمعرفة، والحب، والرحمة، والقسوة، والسعادة، وحقيقة الوجود والفرح، والحزن، والدين، والشرائع، والموت، والخلود.

وقد تناول مؤلفه " العواصف " أقاصيص وهو عبارة عن مقالات نقدية، ويلاحظ فيها أن" جبران" نسى عهد الحنين، والبكاء، ولغة التخيل، والرجاء وكانت العواصف صورا لمآسي الشرق، ومعاناة أهله للظلم والاستبداد، والمجاعة والبؤس، والتفكير الفلسفي الجبراني وفراغاته الاجتماعية الرومانسية العاطفية»[1].

على بعض المقالات الاجتماعية، و مقالات في أعلام الفكر " » ويحتوي" البدائع والطرائف العربي غير أ ن مضمونها حرفي في معظم محتويات الكتاب في هذه المقالات يكرر" جبران "إيمانه بوجوده، ويسمو بالروح وتوقها، أو تعطشها الدائم للتحرر من قيود الجسد ، التي تكبلها القيود إلى مصدر وجودها»[2].

أما المؤلفات الإنجليزية المعربة فهي: «المجنون الذي انطوى على أمثالا وتأملات في موضوعات شتى وجبران يشعر فيه بالوحدة، ويثور على المنافقين والضالين، فهو كتاب اتخذ فيه" جبران "أسلوب الأمثال أيضا، وجعله تمهيدا لكتاب النبي» [3].

---

[1] -المرجع السابق، ص .43 .44.

[2] -محمد حمود، جبران خليل جبران رائد الحداثة الأدبية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان،ب ط، 2004 م، ص25 .

[3] -جبران خليل جبران، النبي، دار صالح تلانتيقيت للنشر والتوزيع، بجاية، الجزائر، ب ط، 2003 ، ص17 .

أما" النبي "« فهو ليس رواية، أو حكاية، يكفي أن يمر بها القارئ ليدرك فحواها ويفهم الحقيقة المنطوية عليها، ولكنه دائرة علم، و أدب، و فن، و حكمة، و فلسفة، فلا تترك عبارة من عبارته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها، وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك» [1].

«الظاهر هو أن" جبران "كان يفكر في هذا الكتاب منذ حداثته، فبدأه باللغة العربية، ثم عدل فيها إلى الإنجليزية، وأنه ظل خمس سنوات يكتبه، ويعيد كتابته إلى أن استقام له معنى، وقد ترجم الكتاب إلى نحو عشرين لغة، و" رمل وزبد "هي مجموعة من الحكم والآراء منشورة في غير نظام» "يسوع بن الإنسان " « يسوع جبران يختلف تماما عن يسوع الإنجيل، أما آلهة الأرض، هو عبارة عن حوار شعري، رمزي وهو آخر مؤلفات" جبران"» [2]

أما " التائه" « و هو كذلك قصص رمزية، أو خرافية تتفقد المجتمع، وتسخر من التكبر والغرور والجهل، ومن الفلاسفة وحقائقهم الجزئية المحدودة، وفي الكتاب يبدو إيمان جبران بوحدة الوجود، والتقمص.

أما في " حديقة النبي " فقد تكلم" جبران "فيها عن علاقة الإنسان بالكون، ويتحدث عن نعم الله وأسرار الوجود، وعن الروح والجسد والزمن ....وغيرها من الموضوعات الصوفية الماورائية، ثم يغادر أصدقاءه ويختفي» [3]

---

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص229 .

[2] – المرجع نفسه229.

[3] – محمد حمود، جبران رائد الحداثة الأدبية، ص32 .

ومن هنا تميز الأدب الجبراني بعدة خصائص، تشكل قدرا مشتركا في جميع كتاباته على حساب خصائص أخرى، والعكس صحيح ومن أبرز هذه الخصائص: « احتفال شديد بالرمز والأسطورة، و عالم السحر، و الخيال، وتأثر بالصوفية وإزالة الحدود، والحواجز بين الشعر، والنثر وتوثيق الصلة بين الآداب، وسائر الفنون الجميلة، بحيث لا ينفصل عنها، فلقد كان" جبران" رسّاما و نحّاتا، و موسيقيا، و شاعرا، و كاتبا مبدعا، فاجتمعت هذه الصفات كلها في أدبه ولأول مرة في تاريخ الكتابة العربية، تظهر هذه الصلات واضحة، حميمة، بين مختلف الفنون.

كما اهتم" جبران "بالإيقاع دون أن يعنى ذلك وقفه على الوزن والقافية، بل امتدّ ليشمل كل فنون البديع اللفظي كالجناس، والتوازن، و التوازي، و التسجيع، و التكرار، و التعديد، و العكس والتقطيع، و التقسيم ...» [1]

إن الأدب العربي الحديث تأثر أبلغ الأثر، بالأديب" جبران " «ذلك الذي أوجد في اللغة مدرسة بيانية جديدة تخاطب الحواس، وتغذي العقول، وترهن الأذان، وتبهر بأسلوبها الساحر وجودها العجيب، فكان قدوة لكثير من الأدباء، و الشباب في جميع الأقطار العربية، وكان مصباحا فكريا كما قال مطران » [2]

ومنه يمكننا القول إن" جبران "استطاع أن يساهم في إعطاء كتاباته مكانتها الأدبية العالمية و السمو الذي قلّما تميز بها كاتب.

---

[1] - المرجع السابق،ص58 .

[2] - حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص123 .

كما أن طبيعته الفنّانة، و الخلاّقة، جعلت من الكلمات صورا، وخيالات تتراقص مع المعاني، و المضامين على مسرح الإبداع، والخلق وما لبثت كتاباته أن قادته إلى درجة النبوّة، وجعلته فريدا، ومتميزا بين أترابه، فعالج مواضيع الحياة و تطرّق إلى موضوع السلطة، وعالج موضوع الطبيعة، على شكل مقالة، أو قصة، أو رواية، تجسيدا، أو إيحاء، فكانت كل كلمة من كلماته،تحمل العديد من المعان، وأسلوبه يحمل القارئ إلى عالم واسع من الخيالات، والأحاسيس، فعندما نقرأ ل"جبران "نحس بالعجز أمام تلك اللغة، والكلمات المنفردة، التي تترجم تلك المعاني الرائعة، هذا ما جعل" جبران " ظاهرة أدبية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، أو محورا لمدرسة، هي مدرسة المهجر الأدبية، التي صهرت خصائصها على أرواح المنشئين، والكتّاب، وطبعت الأدب العربي بطابعها الحديث.

2.1– فلسفة جبران:

إن أدب" جبران"، فلسفة ابتعدت عن كل ما هو ظاهر في الواقع، واعتنقت الإيمان الحدسي، الروحي، والقلبي ولم تعتمد على الاجتهاد العقلي المنطقي، أو الجدلي الكلامي، بل انغمست في الدعوة إلى بهجة الحياة، والتأمل في روعة الوجود، فهي فلسفة حياة لا فلسفة عقل « إذ اعتمد أسلوب الفنان الذي يفكر بقلمه، وبلحنه مشرّعا أنواع التخمين والتفسير »[1] مفسحا المجال لقراءات وأبحاث متجددة، على اعتبار أن نصوصه مفتوحة، ورؤاه صالحة لأي زمان ومكان، حيث تعتبر الرؤية

[1]– غسان خالد، جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1983م،ص268.

الفلسفية الجبرانية، رؤية فكرية إنسانية، وتأملية استوحاها من مختلف المناحي الفلسفية فقد جاءت أمشاجا من فلسفة الشرق والغرب [1] .

إذ تأثر" جبران"« بالتراث الشرقي الذي كان مليئا بالموضوعات والمضامين الروحية والإلهية، كما تأثر بتلك الحركة، الجديدة العامة التي سرت في الغرب وعرفت باسم الرومانسية» [2]، فكان هذان التيارين أساس الفلسفة الجبرانية.

أ–جبران وفلسفة الشرق:

«إن ينابيع فلسفة" جبران خليل جبران " مستمدة من الشرق الإسلامي ،و التأثر ببعض الأديان، منها الهندية، والفارسية»[3] وغيرها.

«فالحضارة الشرقية بما فيها من المكتبات، والمعامل الفكرية، والأدبية، والعرفانية » [4] جعلت"جبران" يمتلك رؤية فلسفية، ومنطقية ذو ارتباطات إيديولوجية متنوعة.

فنجد كتابات" جبران "تحفل بالكثير من الروحانيات، والتأملات الدينية، الفكرية والتصورات حول عالم الإنسان النفسي، وعلاقته بالله، وهذا يبدي تأثر" جبران"« بالصوفية التي ظهرت منذ القرن

[1] –فصل سالم عيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري العلمية، ط، 2006 ، ص54.
[2] –نصر الله الشاملي، صبحت إله حسنوند، المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي،السنة الاولى، العدد4، ص99 .
[3] –المرجع السابق ،فصل سالم عيسى، ص54 .
[4] –المرجع السابق، نصر الله الشاملي ، ص99 .

الخامس عشر، وراحت تمتد وتتفرع، وتدعي أن معرفة الله تتسم عن طريق معرفة الذات، وبواسطة الوحي الذاتي، فتسمو بذلك الروح الإنسانية، سموا تتحد في نهايته بالله »[1].

« كما استهوته نظرات" ابن سينا" في الحدس والكشف والإشراق وشمولية الإنسان لتنمو لديه فكرة الخلود و عودة الروح، كما تأثر" جبران" "بابن خلدون " معجبا بفلسفته التي تضمنت ألف ياء فلسفة التاريخ »[2]

ب –جبران وفلسفة الغرب:

"جبران " اعتنق الكثير من الإيديولوجيات الفلسفية وحاور البعض منها حسب ما يوافق مبادئه الفكرية، لتصبح فيما بعد رؤى ناضجة استطاع النزول بها إلى أرض الواقع.

«هو من بين أكثر أدباء المهجر تأثرا بشخصيات الغرب في الكثير من نتاجاته الأدبية، و الفنية، كان جبران يطالع آثارهم، ويهضم المادة التي يطالعها فإذا تأثر بها طبعها بطابعه »[3]

مثلما تأثر " بفرديريك نيتشه " في كتابه" النّبي "متأثرا بمؤلَّف الفيلسوف الألماني" هكذا تكلم زرادشت" « فأعجبته الخيالات المجنحة التي كان يرسل من خلالها آراءه في الحياة و الناس، على الرغم من أنه يختلف عنه في العقيدة اختلافا بيّنا ،" فنيتشه "يحمل المعول ليهدم عقائد الناس، وشرائعهم، وآلهتهم، وفضائلهم، ... ليبني على أنقاضها ما يدعوه بالإنسان المتفوق، إنه يهدم كل

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي ص227 .
[2] – نصر الله الشاملي، صبحت اله حسنوند المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي، ص102
[3] –المرجع نفسه، ص106.

شيء دون رحمة، أما" جبران "فإن إيمانه بالله عميق، بل أعمق من أن يسمح له بهدم عقيدة أو فضيلة »[1]

فلسفة" جبران "مبنية على حب الإنسانية جمعاء، وعدم المفاضلة بين الناس، فهو يحب كل إنسان موجود على وجه الأرض، ويؤمن بالرابطة الإنسانية، و مبدأ الإخوة، و السمو الأخلاقي، يعني هذا أن" جبران" تأثر" بنتشه "لكنه ابتعد عن تشاؤم" نتشه"، و فكره المعادي للأديان، فإيمان" جبران"، ومعتقداته الدينية تبرز متباينة تماما مع معتقدات" نتشه"، فكان تأثر "جبران" "بنتشه "عابرا، لأن فلسفة" جبران "الإنسانية السليمة، منعت أي احتمال للتعاطف مع عدمية نيتشه[2]

فلسفة" جبران "فلسفة مثالية، أراد أن يحقق من خلالها إنسانية الإنسان، هي «فلسفة خاصة استقاها من مصادر متعددة و من أعماق نفسه، من أهم مقوماتها مبادئ التقمص، و وحدة الوجود، والقوة البناءة للمحبة ، وهي رؤى عميقة تبدي نزعته الفلسفية التأملية، وهي تشابه إلى حد بعيد، أفكار "أفلاطون " في دعوته الإنسان إلى التأمل بالحياة، وقبول الأ لم وسيلة لإبداع حكمته الجديدة، حكمة الفهم، والتفوق و بالتالي الإشراق يعني هي نظرة تفاؤلية، تحمل نية التطلع إلى ما هو أفضل بعيدا عن كل معاني، البؤس والشقاء و اليأس، أي حلّ عنده التفاؤل يستقبل الإنسان محل التشاؤم، وبالتالي تخطي العدمية »[3]

---

[1] – عيسى الناعوري، أدباء من الشرق والغرب، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1966،ص78.
[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص22
[3]– غسان خالد، جبران الفيلسوف، ص101

2 –الفكر الإنساني التأمّلي عند شعراء المهجر:

أولا: مفهوم النزعة التأملية:

1.1–المفهوم اللّغوّي:

أ–النّزعة: ورد في لسان العرب ل"ابن منظور"في مادّة "نزع"،(نزع: حوّل الشّيء عن موضعه.)[1]،وفي المعجم الوسيط:(نزع المريض–نزعا:اشرف على الموت، نزع إلى أهله نزوعا: حنّ واشتاق، نزع عن الأمر:كفّ وانتهى، ويقال نزع الشّيء من مكانه نزعا:جذبه وقلعه.)[2]

وكل هذه التّعاريف تفضي بنا إلى المفهوم اللّغويّ العصريّ الوارد في معجم الرّائد لجبران مسعود، حيث حدّد لها ثلاثة مفاهيم معيّنة وهي كالآتي: (النّزعة، جمع نزعات، 1– المرّة من نزع، 2– الميل، الاتّجاه :"النّزعة الشّعبية في الأدب"،3–"له نزعة كذا": أي ذهاب إليه.)[3]

ب–التأملية: تأمّل، تأمّلا، تأمّليّة، أي:(تلبّث في الأمر والنّظر، وتأمّل الشّيء:تدبّره وأعاد النّظر فيه مرّة بعد أخرى ليستيقنه.)[4]

---

1 –ابن منظور،لسان العرب، ج3، (ق–ي)،ص616.
2 –إبراهيم أنيس،د/عبد الحليم منتصر،محمّد خلف الله احمد،عطيّة المواحي،المعجم الوسيط، ج2، دار المعارف، مصر،1973،ص913.
3 –جبران مسعود، الرائد(معجم لغوي مصري)،مجلد2،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان،ط3، 1978،ص1490.
4 –المرجع السابق، إبراهيم أنيس وغيره.ص27.

2.1 –المفهوم الاصطلاحيّ: عرضنا فيما سبق المفهوم اللّغويّ لمفردة "النزعة" ومفردة "التأمل"، أما الآن فنحن بصدد عرض المفهوم الاصطلاحيّ للمفردتين معا أي "النزعة التّأمليّة"،إلاّ أنّنا سوف نفصل بينهما أوّلاّ، بحيث نعرّف "التّأمّل" اصطلاحا ثمّ نعرّفها بشكل عامّ.

أ–التّأمل :

(حالة من الغيبوبة الفكريّة والاستغراق الذّهنيّ يغرق بها المرء حول موضوع يأخذ بمجامع فكره، تحصل لأصحاب الفكر كي يستجمعوا أفكارهم ويعنوا بتصويرها وترتيبها لعملهم الفكريّ او الأدبيّ، وكثيرا ما يستسلم إليها المرء باللاّشعور، اذا تمرّ بمخيّلته أطياف تجعله كالنّائم وليس نائما، وهي شبيهة بأحلام اليقظة، ويعتزل المفكّرون والفلاسفة والمتصوّفة في صوموعاتهم وخناقاتهم كي يتمكّنوا من الاسترسال في تأمّلاتهم، من غير أن تزعجهم زحمة المدينة، ومزاحمة العابرين والزّائرين.)[1]؛أي التّأمّل يستدعي حضور حالة معيّنة وخاصّة لدى الشّاعر، بحيث تمكّنه هذه الحالة من التّأمّل في أحوال الكون والأمور الغيبيّة والماورائيّة أحيانا.

ب– النّزعة التّأمّليّة :

يعرّفها عيسى النّاعوري في كتابه"أدب المهجر" على أنّها صفة خاصّة متميّزة لدى شعراء المهجر المغتربين بحيث (يرى أنّ هؤلاء الأدباء، كأنّما كانوا في تأمّلاتهم يتجرّدون من طبيعة الطّين،ويسمون

[1] –.محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1999، ص220.

فوق الحياة وفوق البشر، ويحلّقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة، يحلّلون النّفس الإنسانية ويصوّرونها بدقّة، ويحاولون إماطة اللّثام عن أسرار الحياة، وأسرار ما وراء الحياة.)[1].

وبصفة عامّة فانّ الأدب التّأمّليّ هو(ما ينعكس عن تأمّل الإنسان في الحياة والطّبيعة وما بعدهما، وليس ذلك بجديد في تاريخنا الأدبيّ، فإنّ للقدماء منه نثرا وشعرا ما لا يخفى على الباحث والمطّلع[2]). ونستطيع أن نقول أنّ الأدب العربيّ لم يعرّف الأدب التّأمّليّ مثلما عرّفه أدب المهجر، خاصّة عند جبران خليل جبران . ولا بدّ هنا من التّمييز بين التّأمّل الأدبيّ الفلسفيّ، وان كانا يستقيان من نبع واحد، وللتوضيح أكثر فانّ التّأمّل الفلسفيّ يتناول المجرّدات فيدقّق النّظر فيها إدراكا لكنهها معتمدا في ذلك التّحليل العقليّ، أمّا التّأمّل الأدبيّ فغايته التّعبير عمّات تثيره هذه المجرّدات في النّفس من خوالج وصور خياليّة، فالأوّل محلّل منطقيّ والثّاني مصوّر خياليّ .

[1] – عيسى الناعوري، أدب المهجر،مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف ، مصر،ط3، 1977،ص89
[2]– أنس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط9، 1998، ص303.

ثانيا: مفهوم الإنسانية:

لم تصل جهود الباحثين والنقاد والأدباء إلى تعريف محدد لمعنى الإنسانية أو المذهب الإنساني، وكل المعاني التي وجدناها لصيقة بهذا المفهوم، إنما هي انعكاسات لتفكير مرّ بعدّة مراحل مختلفة من تاريخ البشرية، وهي عبارة عن رؤى وتعابير عن عمق ثقافي فردي كان أو اجتماعي، وذلك بسبب مرونة مدلول الطبيعية والجبلة الإنسانية.[1]

إن ظهور النزعة الإنسانية كحركة فكرية كانت في أوربا أثناء عصر النهضة بفضل جهود إنسانية قامت بثورة ضد الكنيسة، حيث كان الخطاب الإلهي هو الموجه للفكر الكنيسي وانه لا خلاص للإنسان إلا بالرجوع لحضرة الأب، وعدّ القرن الثامن عشر الفترة التي تبلورت فيها وتطورت مدلولات النزعة الإنسانية المثبطة للعقل البشري؛ الذي هو أساس كل تقدم ونجاح وتميز عن باقي المخلوقات، فظهرت فنون مختلفة في العصر الوسيط كالرسم والنحت بشكل غير محتشم ترفض المفهوم التقليدي في انحطاط الطبيعة البشرية وعجزها وتشدد على قيمة الإنسان الخلقية والفكرية، حاملا راية التمرد على الكنيسة لأنها تعتبر الإنسان سيئ بطبعه ونسبت له الخطيئة الأصلية وحملته مسؤولية وزرها، وظلت الكنيسة في حركتها الإصلاحية تحذر من تمادي المثقفين من أنصار النزعة الإنسانية من تهميش الدين والاستعلاء على الله بقلوبهم.

---

[1] - رالف بارتوني بيري،إنسانية الإنسان،ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي،مؤسسة المعارف،بيروت،لبنان،1989،ص09.

فالنّزعة الإنسانية هي نسق من الفكر او الفعل يعتبران المصالح والقيم والكرامة الإنسانية هي العامل المهيمن، وتخضع النزعة الإنسانية الولاء للشواغل الإنسانية؛ فهي موقف ذهني يولي اهتمامه المركّز للمناشط الإنسانية لا للعوالم الغيبية أو ما يسمى بالمملكة الحيوانية، ومن الناحية التاريخية كانت النزعة الإنسانية إحدى مذاهب عصر النهضة،وقد ولدت في ايطاليا القرن الرابع عشر وأكدت جدارة الإنسان الجوهرية وكرامته ومقدراته على النقيض من الرأي المضاد الذي ساد قبلا واعتبر الإنسان شريرا ضئيل القدر كتب عليه الهلاك في هذه الحياة وفي الحياة الأخرى كذلك، وقد اعتقد إنسانيو عصر النهضة الذين استمدوا معتقداتهم من دراسة الشعراء القدامى والمؤرخين والفلاسفة، إن الإنسان هو في الحقيقة مركز الكون وانه جدير بان يحيا حياة العقل والكرامة والأخلاق بل والسعادة أيضا.[1]

وهناك تعريف آخر يقول: أنها النظرة إلى المجتمع كله نظرة حب ورحمة ورغبة في أن يعم الخير للجميع، وان تنتشر المبادئ السامية وفي أشعارهم نلمح الدعوة إلى إيجاد مجتمع أفضل تسوده القيم والمثل العليا، والرغبة في تهذيب نوازع النفس الشريرة، وفي ظل هذا الاتجاه اتسعت نضرتهم إلى الحب وشملت الإنسان والطبيعة وكل الكائنات وأصبح الحب وسيلة للسلام في المجتمعات.[2]

والإنسانية في مفهومها العام، هي نظرة واسعة إلى الحياة والى الوجود، وعلى الأخصّ إلى المجتمع البشريّ، وهي الحلم الأكبر الذي يراود أخيلة المفكّرين والشعراء والفلاسفة، وكلّ ذي قلب كبير

---

[1]- إبراهيم فتحي،معجم المصطلحات الأدبية،دار المؤسسة العربية للناشرين المتحدين،صفاقص،تونس،ط1، 1986،ص369.
[2]- محمد رمضان الجربي،الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة وللنشر و التوزيع،ط2، 2002، ص50,49.

وضمير حي ومن معاني الإنسانية فيما يتعلق بالجنس البشري؛ هي نشر المبادئ السامية والثل العليا بين الناس ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان والعمل على خلق مجتمع إنساني يسوده العدل والرحمة والمحبة وعلى تخفيف الشقاء الإنساني وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، أو هو بكلمة أخرى المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود، بغير تفضيل أو تفريق. [1]، ولعل هذا التعريف يجمع بين تعاريف سابقة لأنه توفر على كل ما تحث عليه الإنساني من مبادئ تسعى إلى نشرها وترسيخها في الواقع وقضايا شريان الإنسان تدافع عنها حتى يعيش الإنسان في راحة واطمئنان.

[1] -عيسى الناعوري، أدب المهجر،ص94 .

3- شعراء المهجر التّأسيس والتّكوين:

منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين نزحت طائفة من الشباب اللبناني والسوري إلى بلاد كولمبوس، بعضها هرباً من ظلم السلطة العثمانية إلى حيث الحرية وبعضها انتجاعاً للرزق[1].

ومن بين المهاجرين طائفة من الشباب المثقف الواعي، الذي انطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء، فانقسم هؤلاء الشباب على قسمين: القسم الأول سكن في الولايات المتحدة الأميركية وأطلق عليهم فئة المهجر الشمالي، والقسم الآخر سكن في أمريكا اللاتينية في البرازيل خاصة، وأطلق عليهم فئة المهجر الجنوبي، وكان لكل منهما خصائصه ومميزاته الخاصة [2].

والحق أن الجماعة الأولى كانت أبعد أثراً وأعمق من الفئة الجنوبية، ولعل ذلك يعود إلى تحررهم من القيود القديمة في الفهم والإنتاج، مما جعلهم يؤسسون مدرسة عربية حديثة شاركت في حداثة الأدب العربي نثراً وشعراً.

كان إنتاج شعراء الجنوب يفوق إنتاج شعراء المهجر الشمالي ' غير أن شعراء المهجر الشمالي هم من قاموا بالثورة على شكل القصيدة القديمة ومضمونها، وأدخلوا الموضوعات التجريدية والمواقف

[1]- انظر،عيسى الناعوري ،أدب المهجر، ص17.وأنيس المقدسي، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث،ص278.
[2]- انظر، المرجع نفسه، ص17.

الفلسفية في الشعر، وعلى أيديهم أفلحت الرومانسية في الدخول إلى الأدب العربي [1] .

ومن الفروقات والأسس التي انفرد بها شباب أمريكا الشمالية، بروز الثالوث المهجري الشمالي، وهم : (أمين الريحاني، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة). إذ كان لهم من الشجاعة والثقافة ما ساعدهم على فرض آرائهم الجديدة على معاصريهم، وعمل هذا الثالوث على خلق مدرسة أدبية تعرف بالتحرر وتخلو من عدد من العيوب الملازمة للأدب القديم.

إن للجهود المضنية التي بذلها هذا الثالوث المهجري، أثرها الشديد في الحياة الأدبية في المهجر، فقد ترك هؤلاء الشعراء (بصماتهم) على كثير من القضايا التي عالجها الشاعر المهجري تنظيراً وتطبيقاً. كما أن الموضوعات الحساسة التي تعرض لها المهجريون كانت من فيض عبقريتهم وعمق عطائهم .

ولكون " جبران " من أدباء الرابطة القلمية شاعت لديه النزعة الإنسانية، فتعددت رؤاه حول الموضوعات المعنية بالإنسان بشكل واسع، وتدور هذه الموضوعات حول مشاكل الروح، والحياة، والوجود، والكمال والحقيقة، والسعادة الإنسانية، والدين والخلود[2].

وعليه فكل عمل أدبي يحمل في ثناياه قيم فنية، جمالية، روحية، وإنسانية، تطمح للحد من معاناة الشعوب، والمجتمعات وبث كل الآمال، والرؤى الاسشرافية، التي يبقى صداها إلى الأمد البعيد،

---

[1]- انظر، سلمى الخضراء الجيوسي،الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة د/عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط1، 2001،ص101-102.

[2] – نصر الله شاملي، صبحت إله حسنوند، المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي، ص 03.

هاهنا اليوم مازلنا بحاجة إلى ما أنتجه أدباؤنا في جميع المستويات الحضارية، الثقافية، والاجتماعية، وهذا يعني، أن كل شعر، أو رواية، قد صار رؤية وموقفا حيا، حتى وإن مات الأديب .

وهذا حال" جبران "الذي صار أدبه حلما، وفكرا في ذات الوقت، ومنه فإن الأديب «أصبح أحيانا يحلم بعوالم خاصة، وأصبح أحيانا يتوجه إلى الإنسان يفكر فيه، ويتأمل موقفه من الزمن، والكون والمصير، ويتجاوز الحدود الزمانية، والمكانية إلى حدود كلية مطلقة إلى عالم ما وراء ذلك »[1]، كما هو الحال في بعض تجارب أدبائنا أمثال " أبو الماضي"، و"نعيمة "و"الزكاني "و"السياب"، و"جبران ..."وغيرهم من رسموا الحياة وحملوا هموم مجتمعاتهم السياسية، والثقافية، ، واستطاعوا، أن يبلوروا رؤى فكرية فلسفية، واجتماعية.

---

[1] -محمد عياد شكري، الرؤيا المقيدة، دراسات في التفسير الحضاري للأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978 ، ص10.

4- روّاد ومؤسسو الرّابطة القلميّة:

إن هجرة عدّة أفواج من أبناء البلاد العربية، وخاصة من سوريا ولبنان إلى العالم الجديد في أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، ساهمت في ظهور مدرسة شعريّة مهجريّة، فأنشأ المهاجرون في تلك الدّيار النّائيّة أدبا يعبّرون به عن مشاعرهم، ويوّرون عواطفهم، وما تعرّضوا له من عناء، فكان أدبهم هذا هو أدب مدرسة المهجر[1]، وقد أنشئوا كذلك جمعيّات أدبيّة ساهمت جميعها في تنشيط الحركة الأدبيّة في المهجر، وتمثّلت هذه الجمعيّات في الرّابطة القلميّة، العصبية الأندلسيّة وغيرها.

في ليلة العشرين من نيسان، عام 1920، ولدت فكرة الرّابطة في مجلس ضمّ باقة طيبة من الشبان اللبنانيين والسوريين، كانت الغيرة على الأدب العربي تتلهّب في نفوسهم، والأسف على حالته المؤلمة يلعج في قلوبهم، وكل منهم يتلمس اجدى السبل لإقالته من عثرته الطويلة وجموده الثقيل، وسرعان ما الْتأمتْ الآراء على استحسان الفكرة، وعلى مباشرة العمل لأجل تحقيقها، ولم يمض أكثر من أسبوع حتى خرجت الرّابطة من حيّز التفكير إلى حقيقة الوجود.[2]

تأسست الرابطة القلميّة في نيويورك في 30 نيسان 1920م، وكان الأديب المهجري الكبير عبد المسيح حداد هو الذي دعى إلى تأسيسها، وهو صاحب جريدة السائح، وكانت هذه الجريدة لسان

---

[1]- انظر، محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التّجديد في الشّعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّش،ط1، 2002، ص114.

[2]- عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص22.

حال "الرابطة القلمية"، وتنسب هذه المدرسة إلى القلم، حيث شرّفه الله تعالى بالذّكر في القرآن الكريم، ويعتبر أداة الفكر ووسيلة إلى أذهان الناس في كل زمان ومكان[1].

ومن أعلامها نذكر: جبران خليل جبران ، ميخائيل نعيمة، عبد المسيح حداد رشيد أيّوب، وليم كاتسفليس، ندرة حدّاد، و إلياس عطاء الله. ولقد تولّى جبران رئاسة الرّابطة القلميّة، وكان ميخائيل نعمة مستشارا لها، بحيث سجّل نعيمة في صدر قانون الرّابطة أنّ (هذه الرّوح الجديدة التي ترى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتّقليد إلى دور الابتكار في جميل الأساليب والمعاني، حريّة في نظرنا بكلّ تنشيط ومؤازرة، فهي أمل اليوم وركن الغد).[2]

لم يكن هؤلاء كل أدباء العرب في نيويورك، ولا كان كلهم أقدر الأدباء المهاجرين إليها، فقد كان هناك مسعود سماحة، وأمين مشرق، ونعمة الحاج مثلا، وكان هناك أمين الريحاني الذي كان لقلمه رنين ودويّ في المشرق والمغرب، وكان من أكثر الشبان العرب المهاجرين توثبا ونشاطا، وغيرة على الأدب، وحرصا على تطعيمه بلقاح نقي جديد من التفكير المشرق البعيد، والأسلوب البياني السهل الجميل، ولكن الريحاني لم يكن على وفاق مع جبران، ثم لقد كان غائبا عن نيويورك حين تأسست

---

[1]- انظر، محمد عبد المنعم خفاجي، قصّة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني،بيروت، ط3، 1980، ص82

[2]- المرجع نفسه، ص94.

الرابطة ، وهكذا لم ينظم إلى الرابطة القلمية التي قدر لها– على قصر عمرها، وقلة عدد القائمين بها أن تلعب دورا بعيد الأثر في حياة الأدب العربي الحديث.[1]

كان أعضاء الرابطة عصبة صغيرة– كما يقول نعيمه– تفاوتت قواها، ولكن توحّدت نزعاتها ومراميها ، ولم يكونوا متكافئين في المواهب والإنتاج، ولكنهم كانوا متقاربين في الميول الأدبية، والذّوق الفنّي.

كان لابدّ لهذه الجماعة الصغيرة الخالقة من حديقة ينثرون على ثراها بذورهم ويغرسون في أديمها أغراسهم، فكانت جريدة السائح تلك التربة الخصبة، التي حملت للعلم العربي ثمار قرائحهم اليانعة، فأدهشته بذلك المحصول الطيب، وقبلها كانت مجلة الفنون التي يملكها نسيب عريضه، هي مسرح أقلامهم، وميدان قرائحهم الفنية ولكنها احتجبت قبل نشوء الرابطة.[2]

ورسم جبران للرّابطة عنوانا وشعارا جميلا، يمثّل دائرة في وسطها كتاب مفتوح، وعلى صفحتيه خطّت عبارة هي "للّه كنوز تحت العرش، مفاتيحها ألسنة الشّعراء"[3]. وهكذا انتشر اسم الرّابطة في العالم العربيّ، وأقبلت الصّحف على آثار رؤسائها تنقلها وتعلّق عليها، وقام البعض بجمعها في مجموعات منها ما يدرّس اليوم في كثير من المدارس، ولكنّ أنصار التّقليد نقموا على الرّابطة، فما

---

[1] – عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص23.

[2] – المرجع نفسه، ص23.

[3] – ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران(حياته،موته، أدبه،فنه) ،مؤسسة نوفل(ش م م)،بيروت ،لبنان،ط9، 1911،ص178

كانت نقمتهم إلاّ لتزيدها قوّة وحماسة، بحيث كان هدفها يتمثّل في "أن تكون جديدة في بابها، طرفية في أسلوبها، لم يسبق لها مثيل في الأدب العربيّ "، ومهما كان أصل الرّابطة، فما كانت نقمتهم إلاّ لتزيدها قوة وحماسة، بحيث كان هدفها يتمثّل في "أن تكون جديدة في بابها، طرفية في أسلوبها، لم يسبق لها مثيل في الأدب العربيّ "، ومهما كان أصل الرّابطة، ومهما كانت مراميها، فقد انتهت بعد أن شاعت كتابات أعلامها في البلاد النّاطقة بالضّاد، ولعلّ ممّا يبعث العزاء في نفوس الأدباء العرب هو ظهور وقيام رابطة أخرى في أمريكا الجنوبيّة؛ تسمّى "العصبة الأندلسيّة ".

ف"جبران" هو الأديب الذي ثار على كل ما هو قديم، وجاهد وساهم في تأسيس الرابطة القلمية لتجديد الأدب العربي، وإخراجه من المستنقع الذي كان فيه، فهو رائد الحداثة، و التطور، وحارب كل أنواع الاضطهاد، و الاستبداد الممارس على الشعوب، والأمم من قبل رجال الدين، والحكام، وحمل رسالة نبيلة لقرائه العرب، والغرب على حد سواء، وخير ما يدل على ذلك إنتاجاته الغزيرة في الشعر، والنثر التي مست مختلف جوانب الحياة الدينية، الاجتماعية، والروحية، والفلسفية.

الفصل الأول :

المواجع والفواجع في نص كتاب "النّبي"

1- كتاب النّبي رحلة نصية في مواقفه الروحيّة

2- صوفية النص ورحلة الوجود"مفهوم الصوفية عند جبران"

3- هكذا تكلم زرادشت والنّبي"متعاليات نصية بروح التّأمل"

1- كتاب النبيّ رحلة نصّية في مواقفه الرّوحية:

انطلق جبران مع الحياة يتعلم و يتأمل، ويدرس و يفكر ويتخيل، ويجوب أعماق وجدانه، ليعطي فيكتب ويرسم ويؤلف، وتستوي له غايات وأهداف فيسعى لتحقيقها، وقد تلمع له الحقيقة كموهوب ونابغة، فيطمح إلى إثباتها، وإبرازها للآخرين، وهو يحاول ذلك بأكثر من أداء لعله يجسدها، وما يشفي غلته، ويواصل دربه حتى اطمأن إلى قول كلمته على حد تعبير الكاتب الكبير ميخائيل نعيمة[1]،ويبلغ رسالته وانشأ كتاب "النبي"،وهو مجموعة مواقف وآراء أعطاها جبران في معالجة مواضيع تكاد تشغل كل الناس في أكثر من زمان ومكان، وتتعدى هذه المواقف الخواطر إلى النظرات، وتستوي رؤية إنسانية متكاملة يشارف فيها الأدب الفلسفة بل هو يطوف في رحابها ويخصب وجدانية، ورومانسية، وواقعية، وإنسانية.

وأشخاص هذا الكتاب، أو العمل الرسولي الإنساني، كما أراهم هم ثلاثة:

- **المصطفى**: والمجيب والمتحدث دائما.

- **ناس مدينة أورفليس،** المدينة التي أقام فيها المصطفى قبل عزمه على مغادرتها أو الرحيل عنها.

- **المطرة،** وهي المرأة السائلة دائما المصطفى عن أمور تخص الناس جميعهم بلا حدود زمان أو مكان. [2]

1-ميخائيل نعيمة، مجلة الرسالة عدد7،بيروت،1955.

[2]- كاظم حطيط،أعلام ورواد في الأدب العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة،ج2،ط1، 2003،ص386.

ويحتوي كتاب النبي تسعة وعشرين فصلا، مع صور أو لوحات مقابلة لها،وهذه الفصول هي بإيجاز كالتالي:

– **الوداع**: يتأهب المصطفى للسفر ليغادر مدينة أورفليس، بعد أن قضى فيها عشرين عاما، و يعلم أهلها بعزمه على فراقه لهم، فينطلقون ليعلنوا له عن تعلقهم به، وتنبري امرأة منهم اسمها المطرة تدعوه ليتحدث إلى أهل أورفليس عما لاقى في مسيرته بين الحياة والموت، ويستجيب لها المصطفى ويسلسل أحاديثه وتعاليمه في الفصول المتوالية.

– **الحب**: هو عطاء لابد من أن يستجاب له، وان الحياة حرة طليقة بل هو الوجود في اسماه، وإذا ما تغمس بالألم والشقاء، فانه يعمر بالسعادة، وهو التاج والصليب، وصلاة المحب من اجل الحبيب.

– **الزواج**: انه التلاقي الصادق والخالص بين الزوجين، ولكن لا بد من أن يحتفظ كلا هذين الزوجين فيه بذاته، ولا ينصهر في الآخر وإلا فلا يكون زواج.

– **الأولاد**: ليس الأولاد للوالدين إنما هم للحياة، وما كان للوالدين أن يجعلوهم جزءا لا يتجزأ منهما، حتى كأنهم لم يولدوا. وما الأولاد بالنسبة إلى الوالدين إلا كالسهم بالنسبة إلى القوس، ولا يصيب السهم إلا إذا ثبت القوس. وما كان القوس السهم ولا السهم القوس.

– **العطاء**: إن العطاء كالأخذ، وهو قيمة كما الأخذ، وكلاهما فعل الحياة في الإنسان.[1]

[1] -المرجع السابق،ص387.

– **المأكل و المشرب:** لكم كان العيش رائعا لو أن الطعام والشراب أهم من العبير والنور، وإذا كان لابد من أكل لحم الحيوان ونبات الأرض فهما ومن يأكلهما عصارة الحياة، وكلا الطرفين في هذه العصارة، يشارك في العطاء و الوجود.

– **العمل:** انه تحقيق حلم لابد من أن يكون بالمحبة، ومهما تعددت أنواع العمل فيبقى واحدا في جوهره، وبالإخلاص يكون، وإلا فقد معناه وهذا هو ما ينسجم تماما مع روحية الإنجيل والقرآن.

– **الفرح والحزن:** لا فاصل بين الفرح والحزن وكلاهما مصدر للآخر وإذا ما ظهر احدهما، فما يظهر الآخر، بل هو يستتر.

– **البيوت:** لابد من بناء عريش في القفر كما تبنى البيوت في المدينة، والبيت هو الجسد الأكبر، وخير ما يكون هو ان ينطوي على السلام والذكريات، لا على الرفاهية، وأفضل من كل ذلك هي الحياة في الفضاء.

– **الثياب:** إذا ما سترت الثياب جمالا فهي لن تحجب قبحا، وحينما تنتفي الرجاسة فلا يبقى معنى للحشمة، وتفرح الأرض بملامسة الأقدام العارية.

– **البيع والشراء:** إن للتبادل في البيع والشراء أن لا ينجز إلا برضى، و إلا كان الجوع و الهم، وللفنانين في هذا المجال هداياهم، وما تطمئن الأرض أو تهنأ إلا إذا ما نال كل ذي حق حقه .[1]

[1]- المرجع السابق ،ص388.

– **الجريمة والعقاب**: إن ذات البشر الربانية طاهرة لا تعرف الدنس، وجريمة الفرد ليست فردية ولكنها فعل جماعة هذا الفرد، فجذور الشجرة الصالحة ملتفة في أعماق الأرض حول جذور أخرى طالحة، و العقاب الأوفى هو تأنيب الضمير، وعلى القضاء أن يعرف أعماق الجريمة ليحكم بالعدل.

– **القانون**: من الناس من يسنون القوانين كما يبني الأولاد الصغار أبراجا في الرمال، وآخرون يشترعون ولكن على قدر أهوائهم وواقعهم الكسيح، أما الذين ينطلقون نحو الشمس فهم يمتنعون على أي قيد، ولا يؤذون، وما من احد يمنع القبّرة عن الغناء.

– **الحرية**: تكون الحرية بانتهاء الشوق إليها، ولا خلاص من الطغاة إلا بهدم عروشهم في قلوب المظلومين، ولولا الذلة لما كان الظالم، وما دامت الرغبة تأسر الناس فستستمر الحياة مسلسل قيود.

– **العقل والهوى**: لا مجال لإسقاط أي من العقل والهوى، ولكن ينبغي ان يتحقق التكامل بينهما، وكلاهما عطاء الله. [1]

[1]–المرجع السابق،ص389.

– **الألم**: إن الألم انشقاق للقشرة التي تغلف الإدراك، ومن عرفه تقبله على مرارته، وأحزان الشتاء هي ترقّب لقدوم الربيع، وفي الداء الشفاء، وبعد الألم الراحة.

– **معرفة النفس**: القلوب وحدها تعلم أسرار الزمن: ويصر الناس على آن يعرفوا بالكلام ما عرفوه بالفكر، ولابد من أن تتكشف كنوز في النفس لا تقاس ولتتحدد، والحقيقة هي اكبر من أن تعرف بصورة كاملة، والنفس تمشي في كل الطرق.

– **التعليم**: المعرفة هي ثابتة أصلا لدى المتعلم، والعلم يعطي من محبيه وإيمانه، وهو يهدي إلى عتبة الفكر، وما من احد يهم هاو ذكاءه لآخر، وللإنسان أن يستقل بمعرفته لله، وبفهمه لعالم الأرض ويتقارب جبران هنا مع الغزالي.

– **الصداقة**: الصداقة تتمة لنفس الصديق، وهي أيضا عطاء متبادل بين الأصدقاء، وما تتلاشي في البعد، ولكنها تنمو وتزداد كدليل على صدقها وأصالتها.

– **الكلام**: يكون الكلام عندما ينقطع حبل السلام بين الناس، ويختلف الناس مع الكلام، فهذا يطلقه لضيقه به، وذاك لقدرة فوق طاقته، وآخر لا يتكلّم عن الحقيقة في هيكل، وخير الكلام ما دفعت به الروح إلى الشفاه.

– **الزمان**: الزمان وحدة لا تتجزأ، والماضي هو ذكرى الحاضر، والغد هو حلم اليوم، وفصول الزمن تتلاقى لتكون أمرا واحدا في أمسه ويومه وغده. [1]

[1] المرجع السابق،ص390.

– **الخير والشر**: الشر هو الخير وقد برح به العطش، والناس أخيار في الحال انقسامهم، وليسوا بأشرار إذا ما طلبوا الربح لأنفسهم، وخير ما يفعله الناس وهو حنينهم إلى ذاتهم الجبارة، والأخيار هم الذين لا يسألون في هذا الحنين الآخرين عن ضعف أو نقص .

– **الصلاة** : ليست الصلاة لحاجة، وهي في فرح تكون، وما تحتاج إلى كلام، فالله يصغي إلى ما يقوله على شفاه الآخرين وهنا ينسجم جبران مع ما يراه الإمام علي في العبادة.

– **اللذة** : اللذة نشيد الحرية، وتوق إلى الله، وهي متعددة، وفي الندامة على اللذة عزاء، ولهم في البحث عن اللذة، وهي في الأخذ كما في العطاء .

– **الجمال** :يختلف الناس في الجمال، وكل واحد منهم يراه على شاكلته، والجمال هو الحياة بلا حجاب، والأبدية تحدق إلى وجهها في المرآة .

– **الدين** :إن الدين هو إعمال على اختلافها، وفي كل الساعات، ومن أراد الله فالله في كل مكان وهذا هو ما يعنيه القرآن في قوله: "أينما توجهتم فثم وجه الله ".

– **الموت** :لا فرق بين الحياة والموت، بل هما واحد كما البحر والنهر، ومعرفة الناس لما بعد الموت مستقرة في أعماقهم، ولابد من الموت لتزداد النفوس انطلاقا وهذا هو ما يراه التصوف الحق. [1]

[1] –المرجع السابق، ص391.

– **الرحيل** :يودع المصطفي أهالي مدينة أورفليس، ويعدهم بعودته إليهم، وهو أكثر عمقا ونضجا، ويثني عليهم فما هو أعطاهم علما ولكن اخذ من حكمتهم وهنا تبدو قمة العطاء في التربية، ويدفع عنه تهمة العزلة، وحجته أن الإنسان لا يرى إلا الأعلى ثم هو يشرع في الرحيل، وتحدق المطرة إلى السفينة وتتمثل في كتاب النبي .[1]

[1]-المرجع السابق.ص391.

2- صوفية النص ورحلة الوجود(مفهوم الصّوفيّة عند جبران) :

الفكر الديني عند" جبران "فكر صوفي في جوهره ومضامينه الباطنية خارج أطر الطقوس والتشكل، والمجتمع « فلو قصرنا الدين على أثوابه الخارجية، لكان" جبران كافرا، ولكن لو نظرنا في الدين إلى جوهره دون قشوره، لرأينا أن" جبران "في طليعة المؤمنين العاملين على نشر الحقيقة الأزلية مجردة من زخرف الوهم، وبهرجه الرسم، متحلية بجلباب فنان من الفن الخالد في العقائد والمذاهب المنتشرة في العالم » [1].

« فالصوفي، لا يرى نفسه وحدة مستقلة لا في محيطة الإنساني، ولا في محيطه الكوني، بل يرى نفسه مرتبطا أوثق ما يكون الارتباط، وأتمه بإخوانه في الإنسانية، وبصورة الحياة على تعداد ألوانها الكونية، فالكون وحدة متماسكة، وهو ينفعل انفعالا باطنيا بكل ما يحدث فيه » .[2]

تميزت كتابات" جبران" بطابع تأملي صوفي، طغى عليها الجانب الروحاني، متوغلا بذلك إلى النفس البشرية متسائلا عن حقائقها وعلى« مبدأ الوجود وانتهائه، وعن الفناء والخلود وعن الجبر، و الاختيار، وعن السعادة، و الشقاء في الحياة، وعن الخير، و لشر في الدنيا، و عن الموت وحقيقتها، وعن الله وكنهه » [3]

متأثرا في ذلك بأقوال المتصوفة المسلمين، من بينهم" ابن الفارض" و"أبو حامد الغزالي "و"ابن سينا"، معجبا بهم، ويظهر ذلك في مؤلفاته " البدائع والطرائف " يقول عن" ابن الفارض «كاهنا في هيكل

---

[1] – جبران خليل جبران، النبي، ص 11

[2] –نصر الله الشاملي، صبحت اه حسنوند، المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي ، السنة الأولى، العدد4، ص19.

[3] –ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، دار صار بيروت، ط1 2002م، ص332.

الفكر المطلق، أميرا في دولة الخيال الواسع، قائدا في جيش المتصوفين العظيم، ذلك الجيش السائر بعزم بطيء نحو مدينة الحق المتغلب على صغائر الحياة و توافرها، المحدق أبدا إلى هيبة الحياة وجلالها»[1]

ولجبران نظرة شاملة حول الدين، ارتأينا أن نركز فيها على ثلاثة عناوين بالغة الأهمية هي :جبران والحرية الدينية، جبران وموقفة من الشريعة، حقيقة الدين عند جبران:

أ –جبران والحرية الدينية:

البيئة التي هيأها الغرب، وعاش فيها" جبران "كانت قرينة بالحرية، وبعيدة عما يخوف رجال الدين، فأستطاع جبران أن يبرز نظرته الدينية بحرية كاملة.

يعتقد" جبران "بأن الإيمان أمر فردي، والأديان لها منشأ واحد والمنشأ هو الذات الإلهية المقدس، وهو يقول: « ليس هناك سوى دين واحد مجرد مطلق، تعددت مظاهره، وتشبعت سلبه ولكن مثلما تتفرع الأصابع من الكف الواحدة »[2]

وهناك عبارة أخرى آسرة تقول « أحبك يا أخي ساجدا في جامعك، وراكعا في هيكلك ومصليا في كنسيتك، فأنا وأنت دين واحد، وهو الروح »[3]

[1]–ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران المجموعة الكاملة، ص332 .

[2]– نصر الله الشاملي، المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي ، ص 20

[3]–.حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص58 .

ويقول أيضا :هو ما أنار القلب، ومتى كان ضمير جاري كنور الشمس حبا نقيا، وقلبه كوردة تتفتح في الفجر لتستقبل ندى السماء، فلا عندي إذا ذكر بين الدراويش، أو تسجد مع اليسوعيين، أو اغتسل في نهر الكنج مع البوذيين، فالدين ليس فيه التظاهر حسب رأي "جبران"بل هو عمل فطري ويتعلق بالإنسان ونيته.

ب–موقفه من الشّريعة:

ينتقد" جبران "الشريعة أشد، انتقاد حيث يرى أنها مجرد آلة في يد رجال الدين يستخدمونها من أجل إشباع رغباتهم.

يعتبرها قانون وضع للأقوياء على حساب الضعفاء، وذلك ليحرمهم من حقوقهم الإنسانية، فالشريعة قيد، فرض عليهم طوعا وكرها .

إن الشريعة تناقص المشيئة الإلهية، فالله خلق الإنسان حرا، ومنحه العاطفة والعقل وزينه بالمعرفة ولكن الشريعة تهيمن على روحه، وعلقه، وعاطفته، ويرزخ تحت ثقلها مسلوب الإرادة قانعا بواقعه، مقتنعا بضعفه، وتخاذله يقول" جبران:"«القلب ولد بالمعرفة واعتل بالشريعة وظهر اعتلاله في المستويات الحياتية جميعها من دينية واجتماعية، وسياسية، وفكرية» [1]

لذا يعتقد" جبران "بأن الشريعة التي صممها البشر للبشر قد تكون قابلة للتغيير، وللترفيع، إذا لا شيء ثابت ولا شريعة يمكن اعتبارها كلاما منزلا، أو تسن كقانون إلهي لا تتغير فيه كل شيء، في

[1]– مها خيربك ناصر، جبران خليل جبران، أصالة وحداثة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط 1، 2006، ص60.

رأي " جبران"، قابل للتطور والتغيير، والتحسين يقول" جبران" « أنا من القائلين سنة النشوء، والارتقاء، وفي العرف أن هذه السنة بمفاعيلها الكيانات المعنوية، يتناولها الكائنات المحسوسة فتنقل بالأديان، والحكومات من حسن انتقالها بالمخلوقات كافة من المناسب إلى الأنسب»[1]

ومن نظرته إلى الشريعة، تتجلى، بل تتضح نظرته لرجال الدين، حيث يرى أن رجال الدين يستغلون سذاجة الناس، لا لينتفعوا بها فهم يحملون اسم يسوع لخداع هؤلاء، ولسرقة أموالهم في ظل الدين.

كما اعتبر أن مهمة رجال الدين، تكمن في محاولة التفريق بين الناس، وذلك من أجل تعزيز سلطتهم، وقدرتهم السياسية على الناس.

وفي نفس المضمون نجده يقول: « إن خلق هذه الخلافات والمنازعات مؤامرة، حاكها رجال الدين لإلهاء الشعب بالظواهر وحجب الحقيقية المعنوية عن أبصارهم، فلا ينظرون إلى ما وراء الثوب، وما يختبئ وراء الرمز الديني لقد تآزروا باللباس الكهوني، الستر مخبآت صدورهم الخبيثة »[2]

والعديد من كتابات جبران تناولت هذه المضامين التعصبية فنجده في قصة " خليل الكافر "يثور ويتعصب على الطقوس الدينية والمعتقدات، حيث بدأها بحملة على الإقطاع الكنيسي، ورجال الدين.

[1]-المرجع نفسه، ص158.

[2] – مها خيريك ناصر، جبران خليل جبران أصالة وحداثة، ص 65

وبهذا نتوصل إلى أن" جبران " « حمل لواء الثورة على التعصب والطقوس الدينية، والمعتقدات والشعوذات ورجال الدين زيفوا رسالة المسيح»[1]

ج –جبران وحقيقة الدين:

إن جبران يتحدث عن حقيقة الدين في أنه يشمل كل ما في الحياة يقول: « أليس الدين كل ما في الحياة من الأعمال، والتأملات، أليس الدين كل ما في الحياة مما ليس هو بالعمل، ولا بالتأمل بل غرابة، وعجب ينبعان من جداول النفس، وأن عملت اليدان في نحت الحجارة، وإدارة الأعمال» [2]

كما اعتبر أن الدين نعيشه في كل أعمالنا، وتأملاتنا وأقوالنا، يقول: « من يستطيع أن يفصل إيمانه عن أعماله، وعقيدته عن مهنته»[3]

ومنه فإن رؤيته الدين، تكمن في أن الدين ليس منفصلا عن الحياة اليومية ولا يوجد غموض في الدين كما يزعمون رجال الدين.

يقول في هذا: « الدين بسيط في حقيقته، وبعيد عن الغموض الذي يحيط به رجال الدين، والله في حقيقته في كل مكان، وهو قريب من كل إنسان»[4]

ولا شك أن للإنجيل، دور في مفهوم الدين عند" جبران خليل جبران "فقد كان متأثرا به تأثيرا كبيرا.

[1]-حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص402 .
[2]- .جبران خليل جبران، النبي،ص102.
[3]-المرجع نفسه، ص102.
[4]-المرجع نفسه، ص104.

ونستنتج أن حقيقية الدين عند" جبران "تمثلت في: « أنه يعتقد ويعلم أن الدين يكون حقيقة لا ريب فيها في حياة الإنسان إذا كان الإنسان يستقبل الصالح النافع، الذي تقدمه له الحياة شاكرا فرحا واثقا بأنه عطية الله، ويستقبل الضار المحزن ثابت العزم شجاعا صبورا لكون هذا أيضا عطية من الله »[1]

ومن كل هذا الذي تعرضنا له سلفا، تبدو أن نظرة" جبران "عن وحدة الأديان مرتبطة بوحدة الوجود، وبالتالي الله موجود في كل أجزاء هذا الكون، وأنّ الأمور في الأخير سترجع إليه.

كما توصلنا من خلال هذه النظرة إلى أن جبران، ثار على علماء الدين حيث يرى أنهم، استغلوا الدين لاستثمار الناس، وأنه مجرد وسيلة للوصول إلى سلطانهم المادي في نظرهم.

كما ربط" جبران "بين الشريعة، ورجال الدين حيث اعتبر أن الشريعة من وضعهم، أي قانون وضعه الإنسان وبالتالي يمكن تغييرها والارتقاء بها بل يجب تغييرها، وفقا لظروف المجتمعات البشرية.

---

[1]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب، ص234.

3- هكذا تكلّم زرادشت والنبيّ متعاليات نصيّة بروح التأمّل:

أعجب جبران بفلسفة وأراء "نيتشه"Friedrich Nietzsche "في كتابه "هكذا تكلم زرادشت"، وتأثر به تأثرا عميقا في أدبه، وراق له مذهب القوّة عنده، ففيلسوف ألمانيا؛ منشأ النّازيّة، أما جبران فلقد انشأ المحبة، ومن المفيد جدًّا أن نعقد هنا مقارنة بسيطة بين كتابين وضعهما صاحبهما، وهما كتاب نيتشه؛ "هكذا تكلم زرادشت"، وكتاب جبران ؛ "النبي".

زرادشت هو وسيط نيتشه، والنّاطق بالحكمة للبشر، وهدفه هو الدّعوة إلى السّوبّرمان، أما المصطفى أو النّبيّ عند جبران فهو وسيطه العربي ونبيّه الناطق بالحكمة أيضا، وهدفه هنا هو الدّعوة إلى السموّ والرفعة بالحياة.

لقد تأثر "جبران " بمؤلَّف الفيلسوف الألماني" نيتشه " ،"هكذا تكلم زرادشت" « فأعجبته الخيالات المجنحة التي كان يرسل من خلالها آراءه في الحياة و الناس، على الرغم من أنه يختلف عنه في العقيدة اختلافا بيّنا ،" فنيتشه "يحمل المعول ليهدم عقائد الناس، وشرائعهم، وآلهتهم، وفضائلهم، ...ليبني على أنقاضها ما يدعوه بالإنسان المتفوق، إنه يهدم كل شيء دون رحمة، أما" جبران "فإن إيمانه بالله عميق، بل أعمق من أن يسمح له بهدم عقيدة أو فضيلة »[1]

وموجز كتاب نتشه نلخصه فيما يلي:(ينزل زرادشت وهو في الثلاثين من عمره جبله؛ الذي آوى إليه واعتكف فيه ليعظ الجماهير ويرشدها سواء السّبيل، ولكن الجماهير تحوّلت عنه لاشتغالها

[1] -عيسى الناعوري، أدباء من الشرق والغرب، ص78.

بمشاهدة رجل يرقص على الجبل، ويقابل زرادشت وهو هابط من الجبل ماسكا هرما اخذ يحدثه عن الله، وبعدئذ يعلن عن اسم الإله الجديد، إنّني أعلمكم عن الإنسان الأعلى، لقد حان للإنسان أن يعرف هدفه).[1]

أما بالنسبة لكتاب "النّبي"؛ فملخّصه هو الأتي:(وهو "المصطفى"، فقد اعتكف على رأس تل في مدينة "أورفليس" اثنتي عشرة سنة، مترقّبا عودة سفينته؛ ليركبها عائدا إلى الجزيرة التي ولد فيها، وحين جاءت السّفينة تجمّع حوله أهل المدينة ليستمعوا إلى كلمات الوداع والحكمة من بين شفتيه قبل أن يفارقهم).[2]

فإذا كان جبران قد حاكى في كتابه "النّبيّ" نيتشه في كتابه "هكذا تكلّم زرادشت" فقد حاكاه في الشّكل لا في المضمون، ونوضّح فيما يلي أهم نقاط التّشابه والاختلاف بين هذين الأديبين:

1–نقاط التشابه:

– اتخذ نيتشه من زرادشت وسيلة لإذاعة آرائه، كذلك اتخذ جبران" المصطفى" في كتابه "النّبيّ" وسيلة للتعبير عن أفكاره واتجاهاته .

– كما أجرى نيتشه على لسان زرادشت حكما وأمثالا، كذلك أجرى جبران على لسان المصطفى سلسلة من العظات، وكانت الحكم والأمثال التي قالها كلاهما؛ إجابة لأسئلة مطروحة من المستمعين.

[1] –ول ديورانت، قصة الفلسفة(من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم)،مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط05، 1985،ت فتح الله محمد المشعشع، ص507.

[2] –عيسى الناعوري، أدباء من المشرق والمغرب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان،ط01، افريل1966،ص77.

- كان زرادشت والمصطفى كلاهما غريبا عن وطنه، نزل بين قوم غير قومه، واخذ يعظهم ويفيض عليهم من حكمته وفلسفته ، ثم لم يلبث هذا وذاك أن عادا أدراجهما إلى حيث كانا في جزيرتيهما النائيتين.

- كلا الوسيطين معلّم ينطق بالحكمة (النّبي) و(زرادشت)، ويهيّئ الإنسانية لهدف بعيد.

- كلا الأديبين شاء أن يجعل من نفسه معلّما للبشريّة في عهود مدنيتها الحاضرة.

- تنتهي اللقاءات بين الأديبين بلقاء (النّبي) و(هكذا تكلّم زرادشت) بالعبارة نفسها في الأسلوب البياني.

- كلا الأديبين طرقا مواضيع متشابهة فيما بينها، مثل موضوع العمل وغيره، أما بالنسبة للألفاظ فهناك العديد منها مثل لفظة "الظهيرة" (والتي تعني إشراق المعرفة الكاملة)[1]، والتي وردت عند كليهما بنفس اللفظة ونفس المعنى. فيذكر جبران في نهاية كتابه "النّبي" قائلا:(لان الظهيرة ترقص فوق رؤوسنا، ويقظتنا النّاقصة قد تحوّلت إلى نهار كامل، فيجدر بنا أن نفترق)[2] ،

ويقول "نيتشه"في نهاية مطافه أيضا(هذا هو الشفق يلوح على صبيحتي، وقد طلع نهاري، فأشرقي بأنوارك أيّتها الظّهيرة العظمى.)[3]

[1] -المرجع نفسه،ص88.

[2] -جبران خليل جبران، النّبي، دار المعارف للطّباعة والنّشر، سوسة، تونس،1988م، ص120.

[3] -عيسى الناعوري، أدباء من المشرق والمغرب، ص83.

2- نقاط الاختلاف :

- نيتشه فيلسوف يخضع لمنطق العقل الجبّار، فهو يدعو إلى الرّوح التي تصدر عنها القوة، والى فناء الجنس البشري في سبيل خلق السّوبّرمان، ليقول:(ما بك يا زرادشت؟ قل كلمتك وحطّم نفسك إلى شظايا.)[1]، أما جبران فهو يدعو إلى المحبّة والتّسامح والإيمان والسّموّ الرّوحي، فيقول:(إذا أشارت المحبّة إليكم فاتبعوها، وان كانت مسالكها صعبة متحدّرة)[2].

- جاءت دعوة نيتشه لتزيد العزب المادّي إلحادا وماديّة؛ بعيدة كل البعد عن معاني الإنسانية، على عكس جبران الذي كانت دعوته النّابغة من إيمانه العميق بالله، لينقل آراءه في شؤون الحياة على النّاس ويعمّق عنهم معنى الشّرّ والخير، وصلة الإنسان بمبلغ الوجود، فجاءت عبارات نيتشه عن خالقه تقطر بسموم السخرية والحقد فيقول:(لا اله إلا الله، ولا إله من قبلي ...لقد مات جميع الآلهة، ونريد الآن أن يعيش السّوبّرمان "الإنسان الأعلى")[3]. بينما يتحدّث جبران عنه بإيمان عميق، فيقول:(وإن شئتم أن تعرفوا ربّكم، فلا تعنوا بحلّ الأحاجي والألغاز.بل تأملوا فيما حولكم ...).[4]

[1] -ول ديورانت، قصّة الفلسفة، ص523.
[2] -جبران خليل جبران،النّبيّ، ص21.
[3] -ول ديورانت، قصّة الفلسفة،ص521.
[4] -جبران خليل جبران،النّبيّ،ص26.

- نبيّ جبران وعد أهل "أورفليس" بالعودة مرّة أخرى، فقال: (لا تنسوا أنني سأعود إليكم مرّة أخرى ...لأنّ امرأة أخرى ستلدني.)[1]،وأمّا نيتشه فلا أمل له بولادة أخرى، فيقول:(أحب من يسعى إلى خلق شيء أسمى منه ثمّ يموت.)[2]

غير أن نفس جبران القلقة لم تطق صبرًا على فلسفة "نيتشه"، فعاد كما كان فنانًا يؤمن بأن الفن هو أن نفهم الطبيعة، وننقل معانيها لمن لا يفهمونها، فالفن أن نعكس روح الشجرة لا أن نرسم جزيئاتها، وأن نأتي بضمير البحر لا أن نصوّر أمواجه بتلاطمها، وأن نرى في المألوف ما ليس مألوفا، والشعر ليس رأيا تفصح عنه، بل هو أغنية تفيض من جرح دامي أو فم باسم.[3]

ولأن جبران مثله مثل أيّ فنّان، عرف كيف يلقن فنّ "نيتشه"، ودفعه الإعجاب بنيتشه إلى أن يحاول أن يكون هو أيضا "نيتشه" جديدا، ولكن "جبران" الشاعر لم يستطع أن يصبح صورة حقيقية من "نيتشه"، وحينما حاول أن يرتدي ثوبه كان واضحًا أنّ هذا الثوب مستعار، وظلت الصلة بينهما قائمة على الخيال والقالب.

[1] -المرجع نفسه،ص108.

[2] - ول ديورانت، قصّة الفلسفة،ص552.

[3] -جبران خليل جبران، النبي، ثروت عكاشه، ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، دار الشروق للطباعة والنشر،مصر،ط9، 2000م،ص49.

الفصل الثاني :

مظاهر وتجليات التأمّل في كتاب النّبي

1 – التأمّل الرومانسي"وحدة الوجود والمعدل الموضوعي للطبيعة"

2– التأمّل الوجودي

3– التأمّل الوجداني الصّوفي

4– جبران والنّبي

5– جبران في ميزان النّقد

كتاب "النبي" «ليس رواية، أو حكاية، يكفي أن يمر بها القارئ ليدرك فحواها ويفهم الحقيقة المنطوية عليها، ولكنه دائرة علم، و أدب، وحكمة، وفلسفة، فلا تترك عبارة من عباراته قبل أن تقف على الحقيقة التي وراءها، وتتفهم العقيدة الجديدة التي تحملها إليك »[1].

«الظاهر أن جبران كان يفكر في هذا الكتاب منذ حداثته. حيث بدأه باللغة العربية ثم عدل فيها إلى الانجليزية، وانه ظل خمسة سنوات وهو يكتبه، ويعيد كتابته إلى أن استقام له المعنى، وقد ترجم الكتاب إلى نحو عشرين لغة »[2].

إن التأمل يحدث في الحياة العادية وهو حاجة أساسية للإنسان إذ يبعد برهة عن صخب الفعل ويمنحه القدرة على الرؤية الصادقة والفهم والسيطرة على الأشياء و التجربة يصيبها تغير عميق حينما تنتقل من حيز الفعل إلى حيز التأمل وهي تتميز بنوع خاص من الثبات والوحدة والصفاء.

والتجربة التأملية في أسمى صورها ترتفع بمدارك الإنسان وتسمو بها عن التدلي إلى الأغراض الحسية التي تثيرها غرائزه الشهوانية، ومن هنا كانت التجربة التأملية من أرقى التجارب الأدبية إذ تتعاون في تكوينها قوى الإنسان العقلية والشعورية والروحية والجمالية، فتخرج مادة هي مزيج من القدرات السابقة كلها فترضي كل ذي فطرة نقية لان صاحبها فيه من الفيلسوف حكمته ومن الشاعر رقته ، ومن الصوفي شفافيته ومن الفنان ذوقه ونبوءته[3].

[1]- جبران خليل جبران،النبي، دار صالح تلانتقيت للنشر والتوزيع، بجاية، الجزائر،ب ط،2003، ص17.

[2]- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص229.

[3]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر،ط01، 1993م،ص41.

1- التأمل الرومانسي (وحدة الوجود والمعادل الموضوعي للطبيعة):

نظر الشاعر للطبيعة في كتاب النبي على أنها كيان لا يمكن أن ينفصل أبدا عن الإنسان؛ وهذا المبدأ أقر به الرومانسيون الذين اعتبروا الإنسان متوحدا بعناصر الطبيعة والوجود، وفي كتاب "النبي" « مزج جبران بين الطبيعة والإنسان مزجًا ذاب معه كل منهما في كيان الآخر، فالإنسان هو الطبيعة والطبيعة هي الإنسان، فهو لا يؤمن إلا بأصل واحد وخليقة واحدة وقانون واحد وحب ابدي لا نهائي »[1].

تظهر الرومانسية عند "جبران"، عميقة واثقة ساطعة، وغير تابعة أو مقلدة، وفي أكثر من منحى وحال، كقوله في "البيوت":[2]« **ليتني أستطيع أن أجمع بيوتكم كلها في يدي، فانثرها كما ينثر الزّراع حَبَّه بين السّهل والغاب.**

تمنيت لو أن طرقاتكم أودية، ومسالككم مروج خُضْرٌ، فيسعى كل منكم بين الكروم إلى صاحبه، وتعودون وقد علِق عبير الأرض بثيابكم...» [3].

وفي ذلك يقول:« **لو وجد في هذا العالم كله شجرة واحدة ولا شجرة أخرى سواها، لحجت إليها شعوب الأرض وخشعت تحتها وعبدتها**».[4]

[1]- جبران خليل جبران، مقدمة النبي، ثروت عكاشه،ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص91.
[2]- كاظم حطيط، أعلام وروّاد في الأدب العربي،ج2،ص393.
[3]- المرجع نفسه، ص32.
[4]- المرجع نفسه، ص91.

الأرض الطيبة السوداء ؛ كانت هذه الكلمات دائما على شفتي جبران، فقد أحب الأرض والتراب وكل ما نما منها، كما كان يكن للأشجار إحساسا عميقا بالتوقير والإجلال بل بالتقديس والعباد

وكما أن الوجود كله وحدة متآلفة يتسق فيها الإنسان مع الطبيعة ويتناغم؛ فالبشر كذلك مجموعة متحدة وان وزعت بين بلاد مختلفة فيقول:« البشر ينقسمون إلى طوائف وعشائر، وينتمون إلى بلاد وأصقاع وأنا أرى ذاتي غريبا في بلد واحد، وخارجا عن امة واحدة، فالأرض كلها وطني، والعائلة البشرية عشيرتي: يقول جبران في قصيدة له يوم عيد مولده:« لقد أحببت الجنس البشري، وأحببت الناس حبا جما وأرى الناس في الحياة ثلاثة: واحد يلعنها وواحد يباركها وواحد يتأملها، فأحببت الأول لتعاسته وأحببت الثاني لأريحيته، وأحببت الثالث لحكمته»، وتعلو عنده وحدة الجنس البشري فوق الزمن والتاريخ والحدود، وتتمثل في الامتدادات الثقافية والخلقية والسياسية، ولا يتعارض الإخلاص لها مع الإخلاص القومي.[1]

إن المتتبع لقصائد جبران، يجدها دائما تعرض لفكرة فلسفية عميقة؛ مثل وحدة الوجود، التناسخ، استمرارية الحياة واعتبار الموت مرحلة انتقالية ومناضرات في أحوال المجتمع وقيمه، وسلوكيات الناس، ولا يخرج عن هذه الدوائر سوى قليل من الغنائيات التي غلبت عليه العاطفة.

[1] – جبران خليل جبران، مقدمة النبي، ثروت عكاشه،ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص 92.

ولعل ابرز ما لفت أنظار الشعراء من مظاهر الطبيعة حولهم، الليل والبحر، هذا الجديد الذي لا يبلى وذلك الخصم العارم الذي لا ينفذ، أما الليل بظلامه ووحشيته وسكونه، فيكاد كل واحد منهم يقول فيه شعرا.

فالمهجريين يرون الأشياء من خلال شعورهم وليس من خلال أبصارهم المحدودة،« فقد تبدو الظواهر الكونية أو المشاهد اليومية عادية أمام الناس ولكنهم بتأملهم يعرفون كيف يستنبطون منها الكثير، ويستنطقونها، وخير شاهد على ذلك تجاربهم مع الطبيعة؛ فقد اندمجوا فيها لدرجة الاتحاد والفناء وخلعوا عليها صفات الأحياء ، وتعلموا منها المبادئ، وصاحبوها في رحلاتهم للمعرفة والقيم الإنسانية»[1].

حيث وظف الشاعر العديد من عناصر الطبيعة كمعادل موضوعي لمشاعره وأحاسيسه؛ حيث جعلها ناطقة بلسان حاله يريد الإفصاح من خلالها عن خلجات وجدانه وحنين نفسه وآماله وطموحاته في الحياة، ومن أبرز عناصر الطبيعة التي استخدمها الشاعر كمعادل موضوعي لذاته رمز البحر؛ حيث جعله ناطقا يدعو الكائنات إلى الارتماء في عبابه، حيث يقول في كتابه النبي:

« **على أنه ليس لي أن أطيل البقاء؛**

فالبحر الذي يهتف بكل الكائنات إليه يهتف بي أن اقبل، ولا مفر من نشر الشراع.

فإن بقيت جمدت وتبلورت واحتواني قالب برغم، ليل لهاب يحرق الساعات

[1]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص38.

ليتني استطيع أن اصطحب معي .كل ما حولي هنا، لكن ما السبيل؟.

الصوت حين ينطلق لا يحمل معه جناحيه لسانه وشفته، لكنه يمضي وحيدا ينشد الأثير».[1]

حيث يرى جبران أن البحر في وصف الطبيعة؛ عزما وأي عزم، ورمزا يفوق كل رمز، والبحر فيه كثيرا من التأمل والتفكير والتطلع نحو الأفق البعيد الذي يبدو من ورائه نائياً غامضاً، كما أن فيه محاولات للقرب من البحر والتشبه به في الوحدة والوحشة والسكون، وفي الهيجان والقلق والاضطراب.

والبحر عند "جبران" صورة لمبدأ الحياة، وكل قيم تتجمع فيه فالبحر عنده مصدر الحياة منه تبدأ واليه تعود، وهذه النظرية عند جبران خيال شعري وتأمل بعيد عن الحقائق العلمية لكنه فيه مسحة فلسفية يعبر بها جبران عن رأيه الخاص في مصدر الحياة، يقول جبران في كتابه النبي:

« وأنت أيها البحر الفسيح، بل الأم الهاجعَة

يا من في صدرك وحدك يجد النهرُ والجدولُ السَّلامَ والحريَّة »[2].

كما عبر جبران عن شدة ارتباط فلسفته بمظاهر الطبيعة ويلخص في الوقت نفسه هذه الفلسفة وهو يقول في كتابه النبي:« ...**خلوا من يبغي الحكمة يلتمسها في الشقائق، أو في قبضة من صلصال**

---

[1]- جبران خليل جبران، النبي، ثروت عكاشه، ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص02.

[2]- المرجع نفسه، ص03.

أحمر»[1] .

ويرى "جبران" أن الطبيعة نظاما دقيقا خاضعا لقانون كوني يحرك الشمس وكل ما يحيط بها، ويستمد قوته من قدرة الله، ومن ثم كان يحمل للنظام الطبيعي ما يشبه التقديس ويرى في الطبيعة التي يسودها النظام تجسيدا للحرية المثالية؛ لان القانون هنا نابع من الذّات وليس مفروضا عليها.

ويتغنى "جبران" بالإنسان والطبيعة والحب والحياة، وينسكب نورا لا ينير غير الجوانب الخيرة الرائعة في الحياة والإنسان، مؤمنا ينفع الإنسان وصلاحه وصفائه ونقائه من الشرور، انه يهمس إلى الذات العظمى الكامنة في البشر جميعا، التي تنفلت من الصور المادية لتلتقي متحدة متآلفة في عالم السماء يتحدث إلى الإنسان العظيم الذي يمثل في كيانه غير المحدود البشرَ اجمعَ لحماً ودماً والذي هو وحدةٌ منه، فإيمانه بالطبيعة إيمان بمجموعة من الكائنات الحية يحس بها في حركتها ويتبيّنها في روح الحب النابعة من جميع المرئيات والمحسوسات ترتبط بالطبيعة برباط الأمومة :« كل شيء في الطبيعة يرمز ويتكلّم عن الأمومة، فالشمس هي أم الأرض.. وهذه الأرض هي أم الأشجار والأزهار.. وأمّ كل شيء في الكون، هي الروح الكلية الأزلية البديّة الُمتْرَعَة بالجمال والمحبة.. والطبيعة مرتبطة بالذات الإنسانية ارتباطا أعمق من ارتباط الجسد، إنها تهمس إلى روحه الكامنة في الأعماق ويحس بها حين يتحلل القناع المادي عن ذاته فتهفو روحه إلى الطبيعة كاشفة له عن أسرارها، فما أشبه التجاذب بينه وبين الطبيعة بالتجاذب بين الموجة والشاطئ، ما يكاد الموجع يتدفق حتى يعانق الشاطئ الحبيب، فإذا

---

[1] – المرجع نفسه،ص54.

ما انحسر استرخى على أقدام ذلك الشاطئ، وبالتجاذب بين المطر والروض حين يقول المطر:« إذا ما رأيت روضةً جميلة سقطتُ وقبلتُ ثغور أزهارها وعانقتُ أغصانها» [1].

2- التأمّل الوجودي:

هذا التصور للوجود هو لب عقيدة جبران وموقفه من الوجود، حيث جهر بإيمانه المطلق بوحدة الوجود فهو دائما يرى صورته في الكل ويسمع صوته في كل الأصوات.

والوجود عند جبران يمتد إلى أعماق من مفهومه فهو قائم بصرف النظر عن صوره والأرواح عنده تتناسخ وفكرة الموت تعني الانتقال لا العدم، وان وحدة الوجود عنده لا تعوق نمو الشخصية ولا تحول بينها وبين الحركة الحرة المستقلة ذات الطابع الخاص .

ويلتقي جبران في بعض نظراته للوجود مع المدرسة الإيلية وفيلسوفهم "بارمينودس" الذين يرون أن أصل الوجود هو الوجود نفسه، ويظهر اتجاهه إلى استقلال الشخصية الفردية مع اقتناعه بوحدة الوجود في حديثه عن الزواج : يقول المصطفى مجيبا على سؤال "الميترا" عن الزواج "[2] «**لقد ولدتما معا وحقا تظلان إلى الأبد ومعها تكونان، حينما تذهب بأيامكما أجنحة الموت الشهباء. اجل كذلك تضلان معا، في سر الله المكنون. ولكن فليتخلل التئامكما فُسْحات؛ حتى تتيحا لرياح**

[1]- جبران خليل جبران، مقدمة النبي، ثروت عكاشه، ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص 84- 85.

[2]- صابر عبد الدّايم، أدب المهجر، ص289.

السماوات أن ترقص بينكما».[1]

ويفسّر الدكتور ثروت عكاشه في كتابه بأن ذلك يرجع إلى تأثره بشخصية "بليك" وبقراءاته "لنيتشه" في قلب مدنية سريعة سطحية لا تعرف معنى التمهل أو الاسترخاء أو الاستيعاب يقول: «لعل هذا كله دفعه إلى هذه المحاولة البارعة في تحليل سر الوجود وحمل الناس على فهمه والوقوف عليه»[2].

كما تبرز وحدة الوجود وتبرز في كتاب "النبي" وتظهر جلية في بعض فصوله، كقول الكاتب في "المأكل و المشرب" على لسان من يذبح بهيمة.

« **وما دمي ودمك غير العصارة التي تغذي شجرة الحياة** ».

وقوله في "الجريمة والعقاب":

«**فهو لو فعل ذلك لوجد من غير شك أنّ جذور الشجرة الصالحة و الطالحة والمثمرة يلتف بعضها على بعض في صمت قلب الأرض** »[3].

[1]- جبران خليل جبران، النبي، ثروت عكاشه، ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص14.

[2]- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، ص289.

[3]- كاظم حطيط، أعلام وروّاد في الأدب العربي، ج2،ص393.

3- التأمّل الوجداني الصّوفي:

استعان جبران على إطلاق خياله بالتأمّل والصّمت، شأن الصّوفيّة منذ القديم فلوّنت النّزعة التّأمليّة أشعار جبران، وكانت الينابيع الأولى التي غذّت شعر جبران تتراءى في الطّبيعة والغاب، لأنّها صورة محسوسة لما يتوق إليه من انطلاق وتمرّد على القيود، فنجده يقول واصفا لها وحقيقتها،(وما الطّبيعة- في الواقع- سوى مرآة الإنسان...فمصباح الطّبيعة ليس في الطّبيعة عينها، بل في الإنسان نفسه.)[1]، فجاءت مناجاته إليها على أساس أنّها مرآة للنّفس الإنسانيّة، وملاذه الوحيد في عالم كثير الزّحام والجدل والضّجيج، كذلك شفّ أدبه عن إحساس بوحدة الرّوح والجسد، فجاءت أحاسيسه ومشاعره صادقة، ذلك لأنّها نابعة عن جسد وروح متّحدين مع بعضهما البعض، واتسم أدب جبران بالنّشوة الصّوفيّة فهو القائل في رسالة له: «**خلقنا الله لنفرح ونتمتّع بكلّ شيء في هذه الحياة على قدر ما ترسم الحكمة في أعماقنا**...» [2]،فهو يدعو إلى التّمتّع بالحياة في ظلّ حكمة صادرة من الأعماق حقيقيّة وصادقة.

وعلى الرّغم من ذلك، فقد تجلّت الرّوح الايجابيّة المؤمنة لدى الشّاعر في نظرته المتفائلة إلى الحياة وآرائه البنّاءة اتّجاه المجتمع، إنّه ينظر إلى الإنسان في طينه ووحله، لكن من أجل أن يخلق إنسانا جديدا، فهو يدعو إلى الهدم من أجل إعادة البناء الجديد، فظلّ بذلك تأمّل جبران فيما حوله محصورا ضمن نطاق الإيمان الموروث يستمدّ وحيه من الكتب السّماوية، ويعتبر العالم الرّوحي حقيقة لا تقبل

---

[1] -عبد الكريم الأشتر، النّثر المهجريّ (المضمون وصورة التّعبير)،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط3، 1970،ص77.

[2] -المرجع نفسه، ص40.

مناقشة ولا تحتاج إلى برهان، فهو يرى الحياة« عزم يرافق الشّبيبة وجدّ يلاحق الكهولة وحكمة تتبع الشّيخوخة،... ،ولهذا فقد كا ن جبران في جلّ كتبه يتكلّم كأنّه واعظ روحي باسم الديانات كلّها وعواطف البشر كلّها وآمال النّاس كلّها، مدافعا عن كلّ المظلومين والضّعفاء في العا لم كلّه، وهذا ما يؤكّده صديقه ميخائيل نعيمة بقوله: «**كانت تسيطر عليه طبيعتان متفوّقتان: طبيعة الفنّان الوجداني المرهف الحسّ والشّعور، وطبيعة المرشد والمصلح والواعظ.**» [1]، ويمكننا إضافة طبيعة ثالثة إلى هذين الطّبيعتين ؛وهي طبيعته الثّورية المتمّرد على كلّ القيم والعادات والتّقاليد.

وجبران الذي وجد أنّ مولده جرى في الوقت نفسه الذي ولد فيه المسيح، أي في السادس من كانون الثاني، يرى أنه دعي تيوصوفيا، إلى صوفيّة حاول أن يحقّقها في ذاته، وأن يدعو الناس إلى تحقيقها برفض التقاليد، واعتناق مذهب المحبة، والتّعالي فوق الأديان والجري في الطريق الروحية التي اختطها المسيح، واتخاذ المسيح مثالا أسمى لكل كمال، وهكذا نجد عند جبران هاجس التمثل بالمسيح لأنه يرى فيه الإنسان السوبرمان المتألّه.[2]

وجد جبران في التيوصوفيّة غذاء لنزعته الصّوفيّة ودعما لرسالته الإصلاحيّة، ومنطلقا لعمله الإجتماعي، كما وجد تفسيرا للهاجس الإنجيلي الذي كان يملأ أجواءه الروحية، فراح يفهم بعض أقوال السيد المسيح وتعاليمه على الطريقة التيوصوفيّة، فيجد الرجعة، والإنسان المتألّه والمثال الأعلى للكمال الإنساني الذي أنهى دوراته التقمّصية وتألّه، وانتصب يعلّم النّاس كيف ينعتقون، والذي إن

1 – مجلّة العربي،(لبنان الحريّة لن تموت)،العدد574، سبتمبر2006،ص125.

2 – حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب الحديث)،دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، لبنان،ط1، 1986،ص236.

عاد إلى الأرض فإنها تكون عودته لمساعدة الناس على السير في طريق الإنعتاق، حتّى ينتهوا معه إلى دائرة النّور الأعلى في وحدة كونيّة شاملة[1].

والتيوصوفيّة ترفض من أجل ذلك التّقاليد والأنظمة التي توارثتها الأجيال، ولا تجد فروقا بين الأديان؛ فهي جميعها في نظرها واحدة، ولا تقوم إلاّ إذا توجّهت بالإنسان إلى معرفة ذاته ومنها إلى التعالي التّألّهي الذي يحقّق الذّات الإنسانيّة الكاملة فيه؛ فهي إذن تتوجّه إلى قلب الإنسان تخليه بالمحبّة من كلّ ما يعوق نموّ التعاليم الإلهية، وتجعله بصفاء المحبّة مصدرا للإلهام ومركزا للإشعاع الإشراقيّ

وهي من ثمّ تقول بالوحدة نهائيا بين الإنسان والله، وتمتدّ في نظريّتها إلى حلوليّة تحلّ الله في كل جزء من أجزاء الكون، والى وحدة كونيّة تنطلق من الله كإشعاعات الشمس ثم ترتدّ في موجات صيروريّة متلاحقة.[2]

لا شكّ أن جبران سلك في فلسفته طريق النموّ التطوّريّ، فكانت مرحلته الأولى مرحلة الرومانسية المتألّمة التي تنتصر للدين من مفسديه، وللمجتمع والحياة الاجتماعيّة من الذئاب البشريّة والظالمين، وكانت مرحلته الثانية مرحلة القوّة والتمرّد و الثورة على التقاليد والعادات، والامتداد في الطموح الإنساني إلى التحرر المطلق، وكانت مرحلته الأخيرة الوقوف مع المصطفى يسوعا إنسانيا أنهى دوراته التقمّصيّة وتجوهر في الذّات الكليّة، وفي وحدة وجوديّة، تشرف على المحبّة وتربطها بعضها ببعض

1- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،ص238

2- المرجع نفسه، ص238.

برباط مقدّس أزلي.[1]

وفي غمرة هذا التطوّر تعمل الرؤى التيوصوفيّة عملها، فتصبّ الأفكار الجبرانية في حلوليّة تخرج الرجل من أزمته النتشويّة، بل تذيبها في اشراقية توحّد ما بين الله والكون، وتجعل من المحبّة جاذبيّة كونيّة، ونظاما شاملا يقوم مقام أنظمة البشر المصطنعة؛ وهكذا فالحلوليّة في نظر جبران هي حلول الله في العالم حلولا جوهريا، هي الله في الكل والكل في الله، وهكذا في الطّبيعة كلّها مظاهر إلهيّة للجمال الوجوديّ، والجمال جوهر الوجود الطبيعيّ ومبعث المحبّة التي تسيّر الكون، والإنسان يسمو بالمحبّة وبها يندمج في وحدة الوجود ، وقد عبّر جبران في شتّى آثاره عن حتمية التقمّص وقال انه جاء إلى الأرض عدّة مرّات وأنطق المصطفى بهذا الرأي فوعد أتباعه بالعودة؛ والعودات هذه مراحل معرفة تنتهي بالتألّه كما قلنا سابقا، وهكذا فالموت باب لحياة جديدة، والحياة الجديدة حلقة من دورات من الجهد الشخصيّ يتفوّق به الإنسان على الذّات بالمعرفة والمحبة اللتين يصلانه بالله الذّات الكلية الكبرى، وبهذا يختلف جبران عن المتصوفين الذين يعتمدون التقشّف للوصول إلى الله، ويقولون بالمشاهدة طريقا إلى إدراك الله، أما جبران فيتنكّر لهذه الطريقة ويرى في الجسد رفيقا جوهريّا للنفس، وهيكلا لها يحل فيه الله، كما يرى في اليقظة المعنويّة والروحيّة طريقا إلى إدراك الله، والوحدة التي يطلبها في الطبيعة ليست للنّسك والصلاة والتقشّف بل سعيا وراء اليقظة الروحيّة، وغوصا في بحار المحبّة، وتساميا عرفانيّا إلى الله.[2]

1- المرجع نفسه ،ص239.

2- انظر المرجع نفسه، ص239.

لقد أضحت النزعة الصوفية دين "جبران" وعقيدته وأصبح هو نبيّها الداعي إليها، وإذا كانت نزعته عناقًا بين المسلم والمسيحي، فهي كذلك عناق بين الدين والحياة.

وقد أثارت نظرته هذه عداء كبار رجال الدين المسيحيين ضده، فهو في رأيهم خارج عليهم إذ يعدّ الكنيسة من صنع البشر، أليس هو القائل في كتابه "النّبي":

« وهل الصّلاة الا انطلاق الروح في الأثير الحيّ؟، فإذا كنتم تجيدون العزاء حين تصبّون نفوسكم في الفضاء، فإنكم لتستشعرون السرور أيضا حين تسكبون فيه مطالع النور من قلوبكم.

وإذا كنتم لا تتمالكون دموعكم حين تغريكم أرواحكم بالصلاة، فسوف تحثّكم عليها مرة أخرى على رغم بكائكم، حتى تأتوا إلى الصلاة متهلّلين.

فان نفوسكم لتصعد حين تصلّون، لتلقى أرواح أولئك الذين يصلّون في اللحظة نفسها، وهيهات أن يكون لقاء إلا في الصلاة ».[1]

[1]- المرجع نفسه،ص73.

4- جبران والنّبي:

لقد أراد جبران بكتابه النّبي أن يقدم لنا نفسه، ويقدم لنا مع نفسه صورة صحيحة للإنسان الكامل الذي أسفرت تجاربه عن ضرورة وجوده لإصلاح نفوس البشر، وبهذا المعيار نفسه يقوّم جبران عمله؛ فهو يرى أن كل ما فعله ليس إلا عرضا لفكره حين غرس في وجدان "النبي" مُثُلا آمن انه لابد من ممارستها في الحياة؛ فالتوقف عند كتابتها لا يعني شيئا، لكن اقترانها بالتطبيق في الحياة اليومية هو الذي يعطيها بعدها الحقيقي، وتلك رسالة جبران، لقد عرف الخطيئة بنفسه وعاش فيها، وعن طريق تجاربه أدرك نقائص النفس الإنسانية، وشَعَر بحاجتها إلى معلم يقودها إلى ما غمض عليها من أسرار هذا الوجود..، ثم لعله بين خطاياه وتجاربه، كان يشعر -شأن كل الفنانين والعباقرة- انه هو، وربما وحده الذي اهتدى إلى هذا السّر ووقف عليه وفهم حقيقته، ولم يكن أمامه من سبيل إلا أن يخرج لنا بكتابه "النبيّ" يطل به على العالم بشخصية المعلّم المستنير، ولم يكن هذا الغرور بدعا بعد حياة مليئة بالمحن والتجارب والآلام [1].

لقد وصل جبران في كتاب "النّبي" إلى القمّة، ولم يريد بعدها أن ينحدر، على انه بعد تفكير طويل وضع في ذهنه الخطوط الأساسية لبقية إنتاج حياته، في سلسلة تعالج بقية صلات الإنسان، فبعد أن تناول في كتاب "النّبي" صلات الإنسان بأخيه الإنسان، أراد أن يعالج صلات الإنسان بالطبيعة في "حديقة النّبي"، فمضى يشرح لتلاميذه التسعة ترابط الأشياء صغيرها وكبيرها، قطرة الندى مع المحيط، والفصول مع النهار والليل، والنور مع الظلام،... كذلك أراد أن يختم هذه السلسلة ب"موت النّبي"

[1]- جبران خليل جبران، مقدمة النبي، ثروت عكاشه، ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي، ص 99.

بعد عودته من جزيرته فتوافد عليه جماعات شتّى يتحدث إليها عن الأثير في الفضاء وعن الأمس والغد، وعن الفصول الأربعة،... وعن "سجن النبيّ"، ثم ذهابه إلى الساحة العامة لرجمه بعد إطلاق سراحه، وعلى أن صبره لم يطاوعه حتى يكمل مشروعه فاخرج كتابه "رمل وزبد" ليسد به فراغ حياته الفكرية، وهذا الكتاب حقيقته امتداد لكتاب جبران "النبي" ولسوف يحس القارئ في الكثير من فقرات هذا الكتاب انه أصداء تردد ما جاء على لسان "المصطفى" في كتابه "النبيّ"، و قوله في كتاب"رمل وزبد":« **الحبّ الذي لا يضفي على نفسه جديدا كل يوم يصبح عادة، ثم لا يلبثان يكون رقا** »، أو« **يعانق المتحابان ما بينهما من ودٍّ أكثر من ما يعانق أحدهما الآخر**»، يمكن أن يكون هذا تتممه لما جاء في كتاب "النبيّ" في موعظة "الحب"، وقوله كذلك في كتابه "رمل وزبد":« **ليس الجود أن تعطيَني ما أنا أشدُّ منك حاجة إليه، وإنما الجودُ أن تعطيَني ما أنت أشدُّ إليه حاجة مني** »، يمكن أن يكون تتمّه لما جاء في كتاب "النبيّ" في موعظة "العطاء"، وفي قوله في كتاب "رمل وزبد":« **إنما نعيش لنهتدي وكلُّ ما خلا ذلك لونٌ من الانتظار**» يمكن أن يكون ذلك تتممه لما جاء في كتاب "النبيّ" في موعظة "الجمال"، ومن هذه النماذج يتضح أنّ ما جاء في كتاب "رمل وزبد" هو تردَادٌ لما جاء في كتاب "النبيّ" مع شيء من الإضافة والتلوين في الأسلوب والجنوح إلى الرّمز[1].

[1]- المرجع السابق، ص 100-101.

5- جبران في ميزان النقد:

لقد خلق جبران خليل جبران إنتاجا متنوعا ترك أثرا بعيدا في حياة الأدب العربي الحديث، ويكفيه فضلا انه فتح الطريق أمام الأقلام الشرقية لتنتج إنتاجا متحررا، وذلك لان قراءه أصبحوا اليوم أضعافا مضاعفة، وهم في ازدياد مستمر عاما بعد عام، وهم من مختلف الأجناس واللغات.

« وقد كتب كثيرون عنه فوضعه بعضهم من بين الأدباء الخالدين، وقد تستمد الحماسة ببعضهم، فيصبغ عليه آيات التقديس، وقلة من يرون فيه سوى زنديق مارق مفسد للأخلاق ومعلم للمجتمع، والقلة القليلة درسته كأديب وفنان ونتاج بيئة وظروف معينة»[1]

فمن هؤلاء الدارسين الذين تناولوه ؟، وماذا قالوا عليه في دراستهم؟

أولا :جبران في عيون النقاد العرب:

إن مؤلفات جبران مرآة عاكسة لتلك العبقرية المتميزة التي رفعته إلى أعلى المراتب، فأصبحت قيمتها تستثير المجتمع بجماليتها الباهرة، وأسلوبه الخاص، فماذا قيل عن هذا الرجل الذي ثار على النظم والقوانين الجائرة، ودافع عن المظلومين والمتوجعين بكل صدق وعزيمة من خلال كتاباته المتنوعة من "النبي "إلى" السابق" عرائس المروج "التي تعتبر هذه الأخيرة كذلك رائعة من روائعه.

ولا ننسى بالذكر أشعاره، وقصائده التي استلهمت الشباب وقلوبهم، فاستطاع الكاتب رصد جمهور قراء يتابعون بكل اهتمام وشغف، كل ما كان يصدره، والدليل على ذلك هو أنه رغم مرور العديد

[1]- محمود السّمرة، في النقد الادبي، الدار المتحدة للنشر والتوزيع،ط1، 1974م،ص104.

من الأزمان والسنين، ولكن بقي الأدب الجبراني خالدا.ولكن هذا لا ينفي تعرض كاتبنا بين الفينة والأخرى إلى الهجومات من طرف النقاد، سواء في الشّكل أو المضمون، وفي هذا الصدد ارتأينا أن نقدم بعض الآراء التي جاءت على لسان النقاد العرب، نذكر من بينهم الأستاذ" مصطفى لطفي المنفلوطي."

«حيث كان ملتزما، محافظا، يرى في الثقافة الغربية مصدر كل فساد، ويأبى أن تكون المرأة مساوية للرجل في الحقوق أو تنزع عنها الحجاب لأنه درع يحميها ويصون شرفها، لذا ما إستصاغ أقاصيص "جبران "التي تقدس الحب، وتدعو إلى تحرر المرأة، فحمل على جبران في جريدة" المؤيد "وندد بنوع خاص، بأقصوصته" وردة الهاني"، ورغم هذا استباح المنفلوطي لنفسه أن يقلد" جبران "تقليدا صارخا لأقصوصته" صراخ القبور "في إحدى أقاصيصه في" العبرات "ولأقاصيص سواها بنسبة أقل» [1] .

ونجد في كتاب « "ذكرياتي مع جبران "للفنان" يوسف الحويك "أنه يتعارض مع كتاب" نعيمة " عن جبران، ويلتقي مع" بربارا يونغ "في تمجيد روح جبران وعبقريته، مما دفع أديبا الكاتب "عيسى النّاعوري "إلى القول أن في الحويك كثير من الإنصاف لجبران» [2].

أما "مخائيل نعيمة" صديق "جبران" الحميم يرى «أن جبران كان يقرأ ويلحن في قراءته إلى حد أنه لو سمعه أحد غريب لا يعرف عنه شيئا لقال: إن قارئ القصيدة غير الذي نظمها، أما أنا فكنت أسمعة وأعجب بأذنه الموسيقية التي كانت تحافظ على الوزن بالرغم من اللحن، وعندما لحظت في أحد الأبيات خللا فاضحا في الوزن ونبهته إليه ، وعجبت لأنه لم ينتبه إليه من تلقاء نفسه، وعجبا

[1]- جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، ص22

[2]- محمود السّمرة،في النقد الأدبي، ص105.

حاولت أن أدفع له فهو لم يكن يعرف التفاعيل، وإن كان قد درسها في المدرسة، وظل يعيد ذلك البيت ولا يرى فيه عيبا إلى أن بدلت له الكلمة المقلقة بكلمة استقام معها الوزن »[1]

ويصيف قائلا:« حين أدرك الاختلال مثلما أني نبهته إلى بعض الهفوات النحوية منها قوله:

حين أدرك الاختلال مثلما أني نبهته إلى بعض الهفوات النحوية منها قوله:

فسارق الزهر مذموم ومحتقر وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر.

فلم أتمكن من إقناعه لا بالإعراب ولا بالمنطق»[2].

ويقول "نعيمة" عن كتاب "النبي":« ولكنه ويا للأسف لم يكن كله من صياغة" جبران " فشكله الإجمالي من" نيتشه "في كتابه" هكذا تكلم زرادشت "فكأن" جبران "الذي تخلص من سيطرة أفكار بيئته، لم يتخلص من سيطرة أساليبه البيانية والفنية، ويعتمد" نعيمة "في ذلك على الحجج الآتية: "نيتشه "اتخذ نبيا بوقا لأفكاره، و"جبران "اتخذ نبيا دعاه المصطفى، وزرادشت" نيتشه "يصعد جبلا ويخاطب البحر، ومصطفى" جبران "يعود إلى الجزيرة التي هي مسقط رأسه»[3].

وقد أنصفه نعيمة حين قال عنه :أنه كاتب وأديب اجتماعي متفوق ولقد « كان في مقدمته للمجموعة الكاملة لمؤلفات جبران يقول :«أحب جبران وطنه الصغير حبا يقارب الهيام ففي جبال لبنان التي لا نظير لها بين الجبال تفتحت عبقريته، ومن ألوان أغصانها الحالمة أسحارها الساحرة، استمدت ألوان إلهامها، فلا عجب أن يتغنى" جبران "أول ما يتغنى بمفاتن لبنان وأن يحس أوجاعها

---

[1]- محمود السّمرة، في النقد الأدبي، ص105.

[2]- المرجع نفسه، ص105.

[3]- طوني زكا، بين نعيمة وجبران، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط01، 1971م، ص20.

في كل نبضة من نبضات قلبه، وأن ينتفض وجدانه السليم انتفاضة الألم العميق لكل مشهد من مشاهد الظلم، والرياء في هذه البقعة التي تبعها إلى أقصى حدود المحبة، وكان يودها عن كل شيء إلا من الكرامة، والعدل، والمحبة والجمال »[1]

أما الناقد" طني زكا "الذي أبدى إعجابه بقصة" الأجنحة المتكسرة"، وخاصة بأسلوب "جبران "الفذ وقدرته على تقديم الحب في أسمى معانيه فقال« ففي قصّة" الأجنحة المتكسرة "بلغ تقديس الحب ذروته، إذ جعله للمرأة والرجل والمجتمع أساس التحليل، والتحريم، وأساس السعادة والمعرفة والحقيقة، يعيد الإنسان إلى فطرته إلى حقيقته الأولى ونعيمه الأول، ويحرره من سجن الجسد، والمادة ويقربه من الله »[2].

كما نجد الدكتور والناقد الأدبي" محمود السّمرة "يقول عنه« قد تناول الكثير من الدارسين أخطاءه اللغوية والنحوية، وذكر كيف أنه لم يكن يحسن قراءة ما يكتب ، كما أنه كان يخطئ في الوزن، ولا يدرك أنه أخطأ، ورد آخرون أن" جبران "قد أعطى اللغة إمكانيات جديدة، وحررها من القوانين والقوالب المتوارثة، لا يضره أن يقع في مثل هذه الأخطاء التي وقع في مثلها حتى شعراء الجاهلية، و"جبران "نفسه يدافع عن نفسه قائلا :إن خير الوسائل بل الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة، هي قلب الشاعر وعلى شفتيه، وبين أصابعه، بين قوة الابتكار والبشر، وإذا كان الشّعر أب اللغة، وأمها، فالمقلد ناسج كفنها وحافر قبرها »[3].

---

[1]- فوزي عطوي، جبران خليل جبران عبقري من لبنان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،ط01، 1989م، ص15.

[2] - طوني زكا، بين نعيمة وجبران، ص14.

[3]- المرجع نفسه، ص104.

ويقول" جبران "أيضا مدافعا عن نفسه: « لكم من لغتكم القواميس، و المعاجمات، والمطولات، ولي منها ما غربلته الأذن فحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله ألسنة الناس في أفراحهم، وأحزانهم،...لكم لغتكم ولي لغتي، ولكم منها العروض، والتفاعيل، والقوافي، وما يحشر فيها من جائز وغير جائز، ولي منها جدول يتسارع مترنما نحو الشاطئ، فلا يدري ما إذا كان الوزن في الصخور التي تقف في سبيله أم القافية في أوراق الخريف التي تسير معه...»[1].

ويقول عن شاعريته" أدونيس":« مع "جبران" تبدأ في الشعر العربي الحديث الرؤيا التي تطمح إلى تغيير العالم فيما تصفه أو تف سره، مع" جبران "يبدأ بمعنى آخر الشعر العربي الحديث، ففي نتاجه ثورة على المألوف، آنذاك، من الحياة والأفكار، وطرائق التعبير جميعا »[2].

ومن جملة الآراء التي أطلقت حوله نذكر رأي الناقد" أنور جندي "فيقول:« ومن الحق أن أسلوب "جبران" قد بهر الكثير من الشباب، وسرى سريان النار في الهشيم، ولكن سرعان ما انطفأ وفقد أثره لمصادمته للنفس العربية، ومعارضتها لمنهجه، وتضاربها مع مزاجه النفسي، والإجتماعي، ذلك أن "جبران" كان إقليميا مغرقا في الإقليمية، مسرفا في الإباحية، وقد حاول في الكثير من نبراته محاكاة مزامير داوود، ونشيد سليمان، وسفر أيوب، ومراثي أرميا، وتخيلات أشعيا، على حد تعبير ميخائيل نعيمة عنه، حيث كان أسلوب التوراة هو المثال الأدبي الأول الذي تأثر به، فحفلت كتاباته بمجموعة من الصور، والتعبيرات التي استقاها من الأسفار فهو يقدم أشباه الجمل والظروف،

[1]- المرجع نفسه، ص105.
[2]- محمد حمود، جبران خليل جبران رائد الحداثة الأدبية، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 2004م، ص42.

والأحوال ثم يمزج ذلك بفن" ولت ويتمان "الشاعر الأمريكي » [1]

من خلال هذه الآراء التي جمعت وقيلت على لسان النقاد العرب والكتاب، نستخلص أن" جبران خليل جبران " الكاتب المميز العبقري المنفرد بأسلوبه عن الكتاب الآخرين، استطاع أن يحصن نفسه بحصن منيع يحميه من تلك الآراء التي ساندته أو عارضته.

ومنه نستطيع القول أن أديبنا كان فعلا ظاهرة أدبية متميزة، وهذا انطلاقا من كتاباته التي امتد أثرها من الشرق ليصل إلى الغرب، فيدخل عالم الكتاب الذين حملوا شعار أو شعلة التقدير، حتى لو لم يسانده الكل ووقفوا ضده من منظور إيديولوجي، أو من منظور إسلامي، أي على أنه مسيحي ولا يجب أن نطالع كتاباته ونتصفح قصصه.

ومنه فإن" جبران "يبقى هو النبراس الذي تستمد منه الأجيال قدرتها على إنشاء ألوان أخرى من التعبير الفني أو القصصي.

ونتوصل أيضا إلى أن" جبران"، في تعبيره وأسلوبه في أغلب مؤلفاته إن لم نقل كلها، كان مصورا أكثر منه كاتبا، كأنما كتب بريشة المصور لا بقلم الكاتب.

---

[1]- أنور الجندي، خصائص الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط7 ،ص293.

ثانيا :جبران في عيون النقّاد الغرب:

يعدّ "جبران "الأديب الذي هزّ أعظم الشعوب، بعد أن تجاوز سحر أدبه الشرق ليصل إلى الغرب أيضا، لأن هناك من الأدباء الذين « يكتبون لمنطقة معينة فلا يتعداهم ما ينتجون »[1] في حين أن " جبران "من الذين تتجاوز كتاباته الأزمنة والأمكنة، لتصل إلى كل إنسان « فيستمرّ إنتاجهم حيًّا ونضرًا يثير الاهتمام والإعجاب»[2]

وهذا ما جعل الغرب يتغنى بأقواله، ويصغي إلى كلماته، ويردد اسمه في محافله، ويرتل آياته في معابده، ويتبارى كبار العلماء في تحليل أفكاره.

فماذا قال الغرب عن هذه الشخصية الفذّة ؟.

قالت عنه الشاعرة والناقدة الأمريكية" بربارا يونغ:« هناك جنس من الآلهة لا يزال باقياً على الأرض ننظر إليهم حينًا من الزمن داعين إياهم رجالاً، ولكن هم من عنصر خالد، أكثر ألوهية منا نحن إن جاز لنا التعبير، وأنه بمقدار ما تهزنا رؤياهم الملائكية في أعمق أعماق كياننا، وبمقدار ما نتلقى أو نفهم رسالتهم، عند ذلك فقط نقاسمهم طرفاً صغيراً مختصر الشبه الإلهي، عندما نكتب في موضوع أنصاف الآلهة هؤلاء، يجب علينا أن نغمس ريشتنا في النور في المداد...» [3]

إلى أن تصل بقولها:« إن" جبران "هو إحدى التفاتات القدرة الكلية التي لا يحصى لها، وكانت تتجلى في صوته، وشخصه سلطة، ويجب أن نميّز بينها، وبين المفهوم، البسيط للتفوق البشري»[4].

[1]- غسان خالد، جبران في شخصه وأدبه، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، د ط،1983، ص05.
[2] – المرجع نفسه، ص05.
[3] – فوزي عطوي، جبران خليل جبران عبقري من لبنان، ص15.
[4] – المرجع نفسه، ص15.

هنا" بربرا يونغ "ترفع" جبران " إلى درجة عالية، لتصل به أو تضعه مع أنصاف الآلهة، لأنه يختلف عن غيره من البشر العاديين.

وهي نظرة فيها كثير من الإجلال والاحترام، و الإعجاب والتقديس لشخصية " جبران"، العبقرية التي سحرت الغرب بما قدمته من انجازات خالدة.

وتضيف" بربرا يونغ "قائلة عنه:« إن سلطة وجدانه الشخصي نفذت إلى وجدان حبنا، ولو أنه لم يكتب أبداً قصيدة، أو يرسم لوحة فإن توقيعه على صفحات الخلود يبقى مع ذلك، غير قابل أن يمحى »[1].

وقال له "روزفلت":« أنت أول عاصفة انطلقت من الشرق، ولكنها لم تحمل إلى شواطئها غير الزهور» [2].

هذا دليل على ما حمله" جبران "إلى الغرب، واعتراف بالجميل، حيث اعتبر تلك الأعمال المقدمة بمثابة زهور حملتها يد"جبران "إلى بني جلدته، وقد استشهد كثيرا بأقواله في مواقف وأعمال مختلفة.

حيث نجد الطبيب الإنجليزي الفيلسوف" هافلوك أليس "« دائما يستشهد بأقواله في كتابه "سيكولوجية الحب " ويدعوه بالنبي الشاعر » [3].

وهذا الاستشهاد الذي أخذ به دليل على المكانة الراقية والرفيعة التي حضي بها" جبران "في تلك الأوطان الغربية.

---

[1]- فوزي، عطوي، جبران خليل جبران عبقري من لبنان، ص15.

[2]- حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، ص465.

[3]- المرجع نفسه، ص465.

ما توصلنا إليه من أقوال النقاد الغربيين شيء قليل، من كثير قيل عنه، وكان من الضروري أن نمر عليه، وهكذا لكي يعرف الشرق، أن الغرب يعترف ويقدر كل عبقرية مهما كان جنسها أو جنسيتها، وينزلهم منزلة من الاعتبار، ولعلّ هذا أبرز ما يميز الغرب عن الشّرق، في العناية بالمواهب ومحاولة تنميتها وتطويرها.

فقد تجرّد" جبران "من شواغل الدنيا، واتصل بعالم الرؤى يستلهم منها صوراً لطالما حيّرت الغرب والعرب معا بمُبْهَماَتِها، لذا فإن قرّاء" جبران "أو من يريد القراءة له عليه أن يعتنق من كل قيد، لكي يستخرج لبّ فلسفته، ويستنبط أعماق روحانيته، وعمق وجدانه الفياض بالمحبة المنبثقة من أعمال" جبران "والناطقة في كتاباته.

ولكلّ هذا اعتبر كأعظم كاتب ظهر في الشرق منذ أجيال، وهو متفرّد في فنّه ليس في الشرق وحده، وإنّما في الغرب أيضاً.

الخاتمة

إنّ دراسة هذا النّتاج الأدبي الخصب ل"جبران خليل جبران"، يقتضي النّظر في مضامينه العامّة وصور التعبير فيه، ثم تلخيص هذا النّتاج في عناصر متعددة تبرز أهمّ نتائجه، وهذه النّتائج بدورها تبرز التّراث الأدبيّ المهجريّ بصفة عامّة.

وما كان لنا بعد استنطاق المرجعيات الخلفيّة لهذا الأدب وتشريح بنيته الدّاخلية، إلاّ الوصول إلى نتائج يمكن إبرازها في النّقاط التّالية:

- ✓ الأدب المهجريّ أدب عالميّ يتسم بالواقعيّة، والمستوى الذي وصل إليه أدباؤنا في ذلك الوقت؛ حيث أسّسوا النّوادي والجمعيات الأدبيّة التي ضمّنت شعراء المهجر على اختلاف جنسياتهم، فكانوا يدًا وحدةً وروحًا واحدةً.

- ✓ تزعّم أدب المهجر "جبران خليل جبران"؛ الشّاعر اللبناني الذي شفّ أدبه عن إحساسٍ عميقٍ صادق نبع من تجاربه الذّاتية الوجدانيّة، فأنتج لنا مؤلّفات خالدة، مكّنته من تجسيد مكانة عالميّة.

- ✓ تميّز وتفرّد "جبران" عن غيره بنزعته التّأمليّة التي جسّدت كل أعماله الأدبيّة، فكانت الطّبيعة ملاذه الوحيد من ماديّة الحياة، وهذا ليس غريبا على شاعر ولد وعاش صباه في أحضان الطّبيعة اللبنانيّة الرّائعة، فكانت منبع تأمّله في كلّ ما حوله (الغاب، الإنسان، الموت والحياة،...) .

- ✓ مثّل "جبران "في شعره رمز التّجديد والخروج عن التّقاليد المعتادة في كتابة الشّعر العربي، فدعا إلى التّجديد في الشّعر والنّثر واصطبغت كتاباته بالرّومانسيّة التي دفعته إلى النّزعة التّأمليّة.

✓ فلسفة "جبران" مستوحاة من خلفيات غربيّة وشرقيّة، ذات طابعين (تأمّلي مثالي، وصوفي عقائدي) تكشف عن ثقافة معيّنة تجلّت في أدبه.

✓ رؤية جبران للعالم تحمل أبعاد إنسانيّة ذات قيمة جماليّة روحيّة، تدعو إلى الكمال الأخلاقي والإصلاح الدّيني.

✓ نظرة جبران الدّينية، نظرة وحّدت جميع الأديان، واعتبرت أنّ وجود الله مرتبط بكل أجزاء الكون، كما رفض الشّريعة لأنها تناقض المشيئة الإلهية، لأنّ الإنسان خُلق حرًا.

✓ نظرته لرجال الدّين هي نظرة فيها الكثير من السّخط، سعت بأن تجعل من رجال الدّين أُناساً يعملون على مساعدة المجتمع، ونشر الخير بين أفراده لا ظالمين ولا مستبدّين.

✓ كتاب "النّبي" هو خلاصة ما وصل إليه جبران من تجارب، وآخر ما اقتطفه من معارف الحياة، ونهاية ما تأثّر به من آلام، وكان نقطة التّحول الحقيقية في حياة جبران العقليّة وفي توجيه طاقته الإنتاجيّة، فقد استمدّ جبران من تجاربه و معارفه وآلامه ما ربط به علاقة الإنسان بالإنسان.

✓ قد أودع "جبران" كتاب" النّبي" خلاصة أرائه في الحبّ والزّواج والأولاد والبيوت والعمل والمساكن والبيع والشّراء والجرائم والعقوبات والشّرائع، والحريّة والعقل والعاطفة والتعليم والصّدقة واللّذة والجمال والدّين والموت، وكان جبران قضى حياته يستعد لإخراج هذا السّفر النفيس، فإن كتبه السّابقة ليست سوى مقدّمات لما في هذا الكتاب من حكمة وفلسفة وشعر وفن.

✓ كانت نظرة النقاد العرب ل" جبران "مكللة بتقدير والإحترام والإنبهار بشخصيته وأدبه غالبا – رغم ما تلقاه من نقد بين الفينة والأخرى.

✓ نظرة النقاد الغرب ل" جبران خليل جبران "فيها كثير من الإعتراف بما قدمته تلك العبقرية الفذّة للإنسانية ككل.

وفي الأخير، نتمنى أن نكون قد وفقنا في تكوين وتقديم صورة للبحث كما هو مطلوب، وأن نكون قد وفّيناه حق قدره.

وما يسعنا إلاّ أن نقول إن أصبنا فمن الله المنان و إن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشّيطان، وبالله التوفيق والسّداد.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: المصادر والمراجع:

01- إبراهيم أنيس،د/عبد الحليم منتصر،محمّد خلف الله احمد،عطيّة الموالحي،المعجم الوسيط، ج2، دار المعارف، مصر،1973 م.

02- إبراهيم فتحي،معجم المصطلحات الأدبية،دار المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، صفاقص، تونس ،ط1، 1986م.

03- إسكندر نجار، قاموس جبران خليل جبران، دار الصافي، بيروت، لبنان، ط2، 2008م

04-أنــس المقدســي، الاتجاهــات الأدبيــة في العــالم العــربي الحــديث، دار العلــم للملايــين، بيروت،لبنان،ط9، 1998م .

05- أنور الجندي، خصائص الأدب العربي،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط7،دت.

06- جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، منشورات دار المعرفة، الجزائر،د ط، 2003 م.

07- جبران خليل جبران، النبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس،1988م.

08- جبران خليل جبران، النبي، ثروت عكاشه،ترجمه موازية للنصين الانجليزي والعربي،دار الشروق للطباعة والنشر،مصر،ط9، 2000م .

09- جبران خليل جبران،النبي، دار صالح تلانتقيت للنشر والتوزيع، بجاية، الجزائر،ب ط،2003م.

10- جبران مسعود، الرائد(معجم لغوي مصري)،مجلد2،دار العلم للملايين، بيروت ،لبنان،ط3، 1978م .

11- جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران بالعربية، دار الجيل، بيروت، لبنان،د ط،2002م.

12- حنّا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي(الأدب الحديث)، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط1، 1986م.

13- حسن جاد حسن، الأدب العربي في المهجر، دار قطري ابن الفجاءة، طبعة مزيدة ومنقحة، 1985م.

14- خالد غسان ، جبران الفيلسوف، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط2، 1983م .

15- خالد غسان ، جبران في شخصه وأدبه، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، د ط،1983م.

16- رالف بارتوني بيري ،إنسانية الإنسان،ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان ،1989م.

17- سلمى الخضراء الجيوسي،الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة د/عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ،ط1، 2001 م.

18- صابر عبد الدايم، أدب المهجر، دار المعارف للنشر، القاهرة، مصر،ط01، 1993م.

19- طوني زكا، بين نعيمة وجبران، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط01، 1971م .

20- عيسى الناعوري، أدب المهجر،مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف ، مصر،ط3، 1977م.

21- عيسى الناعوري، أدباء من المشرق والمغرب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، افريل 1966 م.

22- عبد الكريم الأشتر،النّثر المهجريّ (المضمون وصورة التّعبير)،دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع،دمشق، ط3، 1970م.

23- فوزي عطوي، جبران خليل جبران عبقري من لبنان، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،ط01، 1989م.

24- فيصل سالم عيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري العلمية، 2006م.

25- كاظم حطيط،أعلام ورواد في الأدب العربي،مكتبة الدار العربية للكتاب بالقاهرة،ج2،ط1 2003 م.

26- محمد حمود، جبران خليل جبران رائد الحداثة الأدبية، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 2004م.

27- محمد رمضان الجربي، الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة وللنشر و التوزيع،ط2، 2002 م.

28- محمد عياد شكري، الرؤيا المقيدة، دراسات في التفسير الحضاري للأدب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978 م.

29- محمد عبد المنعم خفاجي، حركات التّجديد في الشّعر الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنّشر،ط1، 2002 م.

30- محمد عبد المنعم خفاجي، قصّة الأدب المهجري، دار الكتاب اللبناني،بيروت، ط3، 1980م.

31- محمود السّمرة، في النقد الادبي، الدار المتحدة للنشر والتوزيع،ط1، 1974م

32- محمد حمود، جبران خليل جبران رائد الحداثة الأدبية، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 2004 م .

33- محمد التونجي، المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1999 م.

34- ابن منظور،لسان العرب، ج3 .

35- مها خيريك ناصر، جبران خليل جبران، أصالة وحداثة، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

36- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران(حياته،موته، أدبه،فنه) ،مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط9، 1911م.

37- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران المجموعة الكاملة لمؤلفاته العربية، دار صار بيروت، ط1، 2002 م .

38- ول ديورانت، قصة الفلسفة(من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وأراء أعاظم رجال الفلسفة في العالم)،ت فتح الله محمد المشعشع،مكتبة المعارف،بيروت،لبنان، ط05، 1985م.

ثانيا: الدّوريات المجلاّت:

01- مجلّة العربي،(لبنان الحريّة لن تموت)،العدد574، سبتمبر2006م.

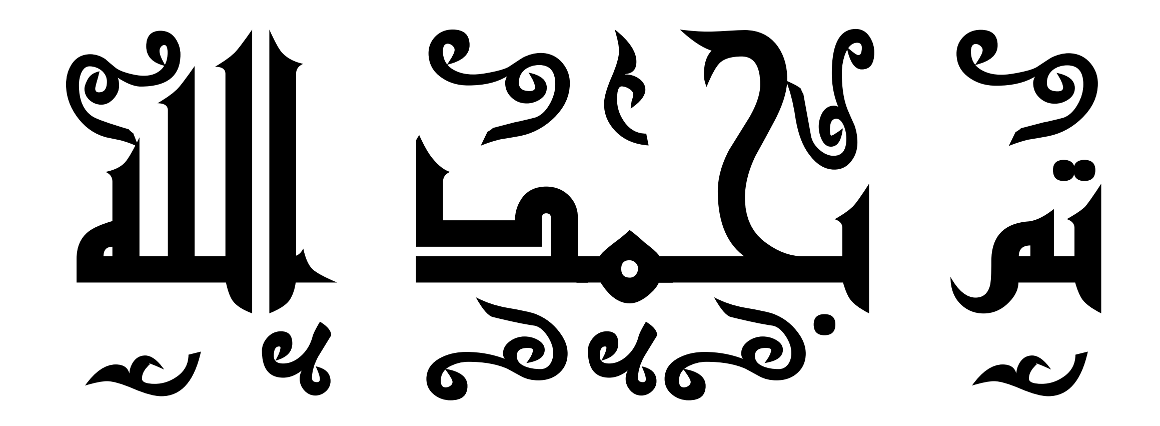
02- نصر الله الشاملي، صبحت إله حسنوند، المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي، العدد4

فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

الفصل الأول : المواجع والفواجع في نص كتاب " النبي "

الفصل الثاني : مظاهر وتجليات التأمّل في كتاب النبي


تم بحمد الله